

شكراً لمن رفع الكتاب على الشبكة، فمنا بتنسيق الكتاب وتخفيض حجمه
مكتبة فلسطين للكتاب المصورة

<https://palslinebooks.blogspot.com>

أخطر من النكسة

محمد جلال كشك

الناشر مكتبة الأمل
الرياضة - الكويت - تلفون ٦١١١٥١

محمّد جلال كشك

أخطر من النكسة

الناشر

مكتبة الأمل

السليّة - اللّويّة - تلفون ٦١١١٥١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

ليست الهزيمة العسكرية هي أخطر ما يواجهنا ..
فما من أمة الا وفي تاريخها نصر وهزيمة .. ولو كانت الأمم تبني
بالنصر وحده - لما كتب الله على نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - تجربة
أحد وحين .. ولكن الأمم تصقل روحها ، وتتطهر عناصرها ، ويصفو
وجدانها بالهزيمة ، كما يصنع النصر مجدها وعزتها ..
ونحن أمة عمرها أربعة عشر قرنا .. عشنا انتصارات لم تحلم بها أمة
أخرى .. وتجرعنا هزائم .. أقل منها أفنى أمما .. وبقينا نحن ، وأفينا
غزاتنا ..

فلنذكر دائما أن هزيمة عسكرية واحدة نزلها بإسرائيل تعنى زوالها ..
أما أمتنا العربية ، فقد تحملت - وتستطيع أن تتحمل - الكثير .. وهي
جديرة بأن تتعلم من يوم بؤسها ، كما تتعلم من يوم نعيمها ..
فليس ما نخافه على أمتنا هو الهزيمة العسكرية .. شرط أن تتعلم منها ،
وأن نغير ما بأنفسنا ، حتى يغير الله ما بنا ..

انما الخطر الحقيقي ، هو الهزيمة النفسية التي يراد انزالها بنا ..
هذه الأصوات التي تنبعث من يأس وعجز ، أو تنبعث عن غدر وخبث
.. تدعى الحكمة ، وتقرع الجماهير العربية على جهلها ، وتحملها مسئولية
ما حدث ..

وليس أنكى على الأمم ، في أيام محنتها ، من شامتين يرتدون مسح
الواقعية والتعقل ، ويسخرون من آمال أمتهم ، ويسفهون أحلامها .. يدعونها
لقبول المذلة والهوان ، باسم مقتضيات الواقع والنزول على حكمه !

وأصوات الواقعيين والعقلاء ، يمكن مناقشتها في أيام الرخاء ، وبين
صفوف الأمم المنتصرة القوية .. وهي عندئذ قد تبدو أصواتا شجاعة ،
تتصدى لغرور الجماهير ، وتواجههم وقد انتشوا بخمرة النصر ، فتدعوهم
الى النزول على ارادة العقل وحكمه ..

ولكن .. هذه الأصوات تتجرد من حكمة العقل ، وتنزلق الى صفاقة
العمالة .. وبدلا من شجاعة المواجهة ، تستعين بانتهازية الجبان ، الذي يستند
الى هزيمة أمته في تبرير خوره ، ويستغل مشاعر الضعف التي تجتاح المهزم
.. ويلعب على الفرائز المنحطة للجماهير ، عندما تتراجع روح الاستشهاد
الانسانية ، وتحل محلها غريزة حب البقاء الأميية ..

وهزيمة الخامس من يونيه - كما يقول أصحابها - هزيمة لم يسبق
لها مثل ، ونرجو ويرجون ألا يتبعها مثل ..

والذين أعدوا لمثل هذه الهزيمة ، بالعمل الدائب المتصل ، على الجانبين ،
يهمهم حقا أن يظفروا منها بكل ما يمكن أن تحققه ، وكل ما توقعوه من نتائج
.. فليس في كل يوم يمكن أن يوقعوا بعدوهم هزيمة « لا مثل لها » ..
وستغدو خيبتهم هم لا مثل لها ، ان عجزوا - باذن الله - عن أن يستفيدوا
من هذه الهزيمة في تحقيق أهدافهم كاملة .

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف ، التي صنعوا لها الهزيمة العسكرية ،
نراهم يلقون الآن بكل الأوراق ، ويكشفون كل الأستار .. ولا يتورعون
عن حرق بعض الوجوه التي كانت تعمل في خفاء ..

من أجل ذلك تشهد المنطقة ، بل العالم كله ، تحركات واسعة النطاق ،
ونرى مظاهر لا يذكرها الا الذين عاشوا أيام مولد اسرائيل .. تحركات
تكشف بوضوح مدى سيطرة الأخطبوط الصهيوني الذي يحرك العالم على

اختلاف النظم والمبادئ والمصالح والرايات التي تتحرك تحتها الجيوش •
والأيام التي نستقبلها ، لا تقل في الخطورة - من وجهة نظر محركي
المؤامرة الصهيونية - عن قيام اسرائيل •• انها المرحلة التالية ، مرحلة سيطرة
اسرائيل على الأمة العربية ••

من أجل هذا تجند كل الطاقات •• تجند كل الأقلام •• وتلقى على
المائدة بكل الأوراق ••

والهدف العاجل في الحرب النفسية الاسرائيلية ، هو اقناع العرب
بالهزيمة ، ودفعهم الى قبول هذه الهزيمة ، ومن ثم تخليهم عن فكرة ازالة
اسرائيل ••

فرغم هزيمة سنة ٤٨ وهزيمة سنة ٥٦ •• فقد ساد العرب اقتناع بأنهم
لم يهزموا ، وأنهم قد حيل بينهم وبين القتال المتكافئ •• ومن ثم ، فقد
سرق منهم النصر ولم ينتزع ••

ورغم ما قد يقال عن هذا الفهم ، وتأثيره على التفريط في الاعداد ،
والمبالغة في التهوين من شأن العدو •• الا أن أهم نتائجه الايجابية أنه زاد
العرب اصراراً على ازالة اسرائيل ، واقتناعاً بإمكانية تحقيق هذا الهدف ••
وسد الطريق على أية دعوة عملية أو متخاذلة ••

ومن خلال « الرفض اللفظي » لوجود اسرائيل ، أصبح محور العمل
العربي هو ازالة اسرائيل •• صحيح أن عدداً من الزعماء العرب حاولوا أن
يزيفوا على الأمة العربية طريقها •• حاولوا تضليلها في متاهات وسرايب
بعيدة كل البعد عن الهدف القومي ، وهو ازالة اسرائيل •• وصحيح أنهم قد
نجحوا في جذب قطاعات واسعة من الجماهير خلفهم في هذه المتاهات •• غير
أن هؤلاء الزعماء كانوا يبدأون مسيرتهم من فلسطين •• فعلى هذا الدرب
وحده توجد الجماهير •• ومن هذا الدرب وحده يمكن أن يقودوا الجماهير ،
حتى ولو بهدف تضليلها ••

وكل الحركات والأحزاب والانقلابات انما بدأت من فلسطين ، وانتهت

جميعا الى خيانة فلسطين .. صحيح أن الخائنين دفعوا ثمن خيانتهم ، ولكن الجماهير أيضا دفعت ثمنا غاليا من حياتها وآمالها .. وكفاحها الضائع ..
وصحيح أن عددا من العناصر الشريفة قد استغرقتها المعارك الجائية .
والمشاكل الفرعية التي أثارها هؤلاء وهؤلاء ..

وصحيح أن الجماهير قد طربت لهذا الاجراء ، وشفقت لهذا الزعيم ،
وئارت ضد عدد من القضايا ، وعملت ضد بعض القوى ..

ولكن .. كان عذر الجميع أن هذه الخطوات محتومة لكي ينطلق
الزحف الى فلسطين ..

حتى استيقظت الأمة العربية في الخامس من يونيو لتجد نفسها قد أعدت
لكل شيء الا فلسطين .. وأن قواها قد استنزفت في أبعد الميادين عن
فلسطين ..

فكانت الهزيمة العسكرية ، وكانت الهزيمة النفسية ، والشك في كل
ما طرح وتردد خلال الأعوام العشرين الماضية ..

وإذا كان المتشبهون بمقاعدهم – ولو على حساب أمتهم – يحاولون
تزييف أسباب الهزيمة .. فإن عملاء اسرائيل قد نشطوا من أجل التمهيد
للمصلح مع اسرائيل ..

وهناك محاولات لتصوير الهزيمة ، وكأنها بفعل قوانين طبيعية يحتمها
فارق التقدم والتخلف .. فلا سبيل لمقاومتها ، ولا أمل في تفاديها ، الا بعد
عمر طويل من التقدم والتعلم والتحضر ..

وإذا كانت الجماهير قد تنبته الى ضرورة التغيير في القيادات العسكرية
التي صنعت الهزيمة العسكرية .. فإن حاجتنا الى تغيير القيادات الفكرية
أوجب وأكثر الحاحا .. فانها هي التي صنعت الهزيمة الشاملة ..

وإذا كان قد تبين أن الجاسوسية اليهودية قد استطاعت أن تتغلغل على
نحو – لا أظن أنه قد عرف الا في نهاية عهد السلطان عبد الحميد – فان
الأهم الواعية لا تقف عند حد التفسير البوليسي لهذا الوضع .. بل عليها

أن تتساءل عن المناخ الفكري الذي مكن هؤلاء العملاء أن يوجدوا ويعملوا ويستثروا .. كيف كانت العناصر الوطنية المخلصة تطارد الى حد القتل ، وتمنع من حرية التنقل ، بينما العناصر المسؤولة عن الأمن تتزوج من يهوديات أجنبيات يغادرن البلاد يوم ٤ يونيه !
كيف !؟

ليس بالجاسوسية وحدها يمكن أن يحدث ذلك في أمة من الأمم .. بل بتخريب كل قدرة على الحس في هذه الأمة ..

وإذا كانت الأخبار المعلنة ، تشير الى تغيير في القيادات العسكرية - فان القيادات الفكرية ، التي صنعت الهزيمة ، ما زالت موجودة .. بل نأطت على نحو غير عادي ، لاستكمال الهزيمة ، والوصول بها الى غايتها ، وهي الصلح مع اسرائيل .. أو مرحليا .. الاعتراف بوجود اسرائيل .

بدأوا بفتح حوار مع اسرائيل ، أداروه من فوق رءوس الجنود والشبان المرابطين عند خط النار .. والمشغلين بحفر الخنادق ، وتضسيد الجراح ، وانقاذ التائهين في صحراء سيناء ..

بدأ الحوار تشنه حلقات معينة من فلول أنصار التقسيم في سنة ١٩٤٨ .. لولا أنهم يحتلون اليوم مراكز الصدارة في الوطن العربي ..

هم بقايا الحلقات الماركسية ، ولكنهم من فئة خاصة ، تربط معظمهم بالاسرائيليين والاسرائيليات روابط معينة ، أشار اليها « جورج براون » وزير خارجية بريطانيا عندما قال ان لديه أسبابا « خاصة جدا » تمنعه من معارضة أهداف اسرائيل .. وفسرت صحافة بريطانيا هذه الأسباب بأنها زوجته الاسرائيلية ..

كلهم ، وبلا استثناء ، لديهم أسباب « خاصة جدا » تضعف روابطهم بالعروبة ، وتفصلهم عن الاسلام بالذات ..

عناصر مشبوهة تعمل من أجل الصلح مع اسرائيل .. انطلاقا من دفع العقل العربي الى التسليم باستحالة اقتلاع اسرائيل .. بتشكيكه في عدالة

أهدافه وشرعيتها •

وإذا سلم العقل العربي بذلك ، فذلك يعنى بداية الانهيار الشامل ،
وعندئذ •• لن تغنى الطائرات ولا المدرعات •• عندئذ •• سيتحقق المخطط
الصهيوني ، وهو حكم الوطن العربي من المحيط الى الخليج ••

لقد استطاعت اسرائيل أن تفرض وجودها بقوة السلاح • ولكن الأمة
العربية - بتخلفها وضعفها - استطاعت أن تجرد هذا الوجود من شرعيته ••
برفضه ، واستطاعت أن تفرض حوله حصارا من هذا الرفض •• أو قل انها
فرضت على نفسها حصارا منعها من الانهيار ، منع اسرائيل من التسرب الى
داخلها ، ومنع عناصر الضعف فيها من التسرب الى اسرائيل - عبر جسر
من العمالة - يسلم الأمة كلها لاسرائيل •• فحتى ولو عجزنا عن محاصرة
اسرائيل ومنعها من الاستمرار والوجود - فقد نجحنا في منع اسرائيل من
استغلال هذه العناصر ، التي تتطلع الآن للمقيام بدور وكلاء الرأسالية
الاسرائيلية في حكم الوطن العربي بحماية العسكرية الاسرائيلية •• « فبالرفض
اللفظي » الذي يريدون تجريدنا منه الآن طوقنا هؤلاء وشللنا أيديهم ••

والخطوة التالية ، هي أن نحرر ضائرتنا ، ثم نظهر صفوفنا من عناصر
الضعف والتخلف ، ثم نخوض حربا لا نهاية لها الا ازالة اسرائيل ••
ومن هنا كانت ضرورة أن تعكف كل الأقلام الشريفة على دراسة أسباب
الهزيمة ، وتحديد المسؤولية ، بصراحة وصدق ، ثم تدعو الجماهير الى تغيير
هذه الأسباب ••

ومن هنا كانت ضرورة الاهتمام بهذه الأصوات التي بدأت ترفع هنا
وهناك ، وضرورة أن تتصدى لها في عجالة شديدة ••

والحق أنني عندما بدأت أجمع شظايا هذا الحوار لأرد عليه ، محاولا
أن أبين للمقارئ من هذه الشظايا ملامح الغدر الذي دبر - كنت أفاجا
بالتحاورين يسبقونني باعلان ما أحاول أن أدلل عليه !

انهم يمتازون اليوم بوقاحة نادرة ، وجرأة صفيقة •• أغرتهم النكسة

بنا ، فكشفوا عن أحقاد صليبية ، وثارات قديمة .. واندفعوا في خطتهم
لا يخشون رادعا ، ولا يأبهون بغضبة .. فقد أنجزت لهم العسكرية
الاسرائيلية الخطوة الأولى ، وبقي عليهم أن يفسفوا الهزيمة ، وأن يصلوا
بالانكسار الى غايته : الاعتراف باسرائيل ..

وقالوا : « يد الله مغلولة ..

« غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا .. »

ومن أجل أن نفضح هذه الأصوات ، ونقطع الطريق عليها - يأتي
هذا الحديث .. فاغفر عجلته .. واصفح عن حدته .. فقد أظننا زمان
ادلهمت فيه الفتنة ، حتى اذا أخرج الرجل يده لم يكد يستبينها .. وأصبح
التمسك بدينه ، الحريص على عروبه كالقابض على الجمر ..
وليس الذي يقرأ .. كمن يكتب .

محمد جلال كشك

٣ ب شارع بهجت علي - الزمالك

القاهرة

رجب ١٣٨٧

نوفمبر ١٩٦٧

بلا عقبة

« قاتلوا المسلمين » ..

انطلقت الصيحة في الغرب ..

اطلقتها أجهزة الصهيونية الواعية المدربة التي تعرف كيف تخاطب جماهير الغرب .. وكيف تضرب على الوتر الحساس في عواطفها .. وكيف تخاطب غرائزها .. وما ترسب في وعيها عبر عشرات الأجيال ..

« قاتلوا المسلمين » ..

وانطلق الغرب يتطوع ويتبرع ويتظاهر في حماس جنوني .. وكأن بطرس الناسك (١) قد بعث من جديد ..

واتتصر الصليبيون الجدد .. واتتزع بيت المقدس للمرة الثانية في التاريخ الاسلامي من يد المسلمين ..

وتنادت الأمة الاسلامية : واصلاح الدين ..

وكانت النكسة ..

صدقت النذر كاملة .. بل وبأشع مما تصور اكثر الناس تشاؤما ..

صح ما فتىء العقلاء يحذرون منه منذ سنوات ..

هزم أصحاب العقيدة الفاسدة من لا عقيدة لهم ..

اتتصر اليهود الذين ظلوا يصافحون بعضهم ، الفي عام ويقولون : « العام القادم في اورشليم » ظلوا يرددونها مصدقين نبوءة كهانهم .. وهم

(١) داعية الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر ..

يفتتون الذرة ويسلحون بها الأمم لتفنى بعضها بعضاً .. وهم يسيطرون على اقتصاديات الأمم وينبغون في العلم ويعلمون الناس الالحداد .. ولكنهم لا يدخلون من السفر الى القدس والبكاء عند حائط من بقايا معبد قديم .. يكون مجد أجدادهم .. ويحتفلون بعيد الكروم في بلاد لا تنبت فيها الكروم لأنه من تراث دينهم ..

اتصروا على الذين تخلوا عن دينهم ، وراوا الحديث فيه تعويقا للعلم .. وتخلفا عن ركب الحضارة ومجافاة لروح العصر .. وبعدا عن التحرر المنشود !!

اتصروا على الذين نسوا مجد أجدادهم .. واحترفوا سب هؤلاء الأجداد والتشهير بهم والهزء بتاريخهم ..

اتصر الذين آمنوا بدينهم وتراثهم وخرافاتهم .. وفي نفس الوقت .. بنوا مجتمعا مسلحا من قمة الرأس الى أخمص القدم .. مزودا بكل أجهزة الفتك والدمار .. الذين سخروا آخر كلمة في العلم لخدمة عدوانهم وتحقيق الحلم الذي ربطوه بتوراتهم وتلمودهم .. وألهبوا الحساسة له من دينهم .. وصنعوا لغة قومية من بقايا لغة انقرضت منذ ٢٠٠٠ سنة .. ولا يتكلم بها أي شعب من الشعوب .. لغة خرجت من الحياة العامة منذ ٢٠٠٠ سنة وبرغم ملايين الحقائق التي اكتشفت خلال العشرين قرنا الماضية ، والتي لم تعرفها العبرية ولا نحتت لها الفاظا .. برغم ذلك جاء هؤلاء ينحتون من حفریات لغتهم هذه ، الفاظا سياسية وعلمية يفرضونها على العالم بل ويتباهى بعض كتابنا باستعراضها .. « كنيست (١) .. هستدروت .. دافار .. الكيبوتيزم .. ناهال اوز .. الياتا .. يوتفاتا .. اداميت .. الدايبورا .. الهاسيديه .. الميتاغديم .. هاجانا .. ايرجون زفاي لومي » ..

هزم باعشو جيقة اللغة العبرية ، هزموا الذين جعلوا من لغتهم الحية

(١) تأمل لو ان عربيا اقترح ان نسمي البرلمان دار الشورى .. أو ان نسمي التعاونيات « الأشعريات » كم من مقالات ساخرة تنهال عليه .

الغنية « ملطشة » لكل كاتب مريب او مستريب .. وجعلوا تسليتهم هي السخرية من الداعين للتمسك باللغة العربية ، لغة الأجداد والأحفاد ، بل أخذ وأغرق اللغات الباقية على ظهر الأرض وأغناها بالألفاظ وأقدرها على التطور والتعبير .. أصبحت الدعوة للفصحى تعنى الرجعية والحلف الاسلامي .. والتبعية للاستعمار وتعويق التطور العلمي .

واسرائيل تعلم بالعبرية التي كفت عن التداول الحي منذ الفين من السنين .. لأن علماء اسرائيل يعرفون انه بغير لسان قومي لا توجد أي خاصة من خصائص القومية .. وبغير الاعتزاز باللسان القومي لا توجد فنون ولا آداب ولا علوم ولا وطنية ولا دافع للاستشهاد .. فانشأوا القوميتهم الوهمية لساناقوميا .. بل واشتروا على المهاجرين « عبرنة » أسمائهم .. أي اتخاذ اسماء عبرية من التوراة (١) .. انتصر اليهود الذين يشكلون في جيشهم فرقا خاصة لسحب القتلى ويهتمون بهذا العمل اهتماما يفوق كل حد رغم نقص القوى البشرية عندهم .. وخطورة هذا العمل في الحروب الحديثة .. ولكنهم يهتمون به حرصا على دفن القتلى وفقا لشرائع الدين اليهودي التي وضعت

(١) فطالما سنظّل يهودا وطالما سننادي بأن التوراة كتابنا يجب ان نقدر
اللغة التي كتبت بها تقديسا لا حد له « موريس جوزيف .. يهودي
انجليزي ١٩٠٧ » .
« الذين يبعدوننا عن اللغة العبرية يضمرون الشر لشعبنا ومجده
الخالد » (بيرتس سمولنسكين ١٨٤٢/١٨٨٥) .

« وشمويل يوسف عجنون » لا يكتب الا بالعبرية ويصفها بانها لغة الله وان الله لا يتكلم الا بالعبرية وفاز بجائزة نوبل عن مؤلفاته بالعبرية (المصور) .. بل ويطالب بعدم انسحاب اسرائيل من المناطق التي احتلتها بعد ٥ يونيو لان هذا ضد ارادة الله .. ولم يجد في مكانه كحائز على جائزة نوبل ما يتنافى مع هذه الدردشة والعنصرية .. والبعث في بلادنا يتحلون بالعلمية ويصرون على توعيتنا بخطر الأرضية الدينية .

منذ آلاف السنين (١) .. وعندنا اقترح تقديم متطوعا غير مشكور ..
الغاء اجازة المولد النبوي حتى لا يتعطل المجهد الحربي يوما كاملا .. وكنا
قد اوقفنا اطلاق النار والحمد لله .. لولا أن تدارك حكيم الأمر .. فأعلن
بطلان هذا القرار .. وكانت الاجازة وكان الاحتفال ..

قلنا منذ سنوات انه لا قيام لأمة بغير عقيدة ، ولا عقيدة للعرب الا
الاسلام .. فلن يفل الحديد الا الحديد .. ولا يقهر التلمود الا القرآن ..
ولا يقوى على الطموح الصهيوني لبناء قومية يهودية مستندة الى الدين
اليهودي الا مواجهتها بطموح عربي لبعث القومية العربية المستندة الى الدين
الاسلامي ..

قلنا هذا كله .. وتحملنا ما لا طاقة لبشر على تحمله .. يوم انطلق
عملاء المخابرات الامريكية ، والمدافعون والعاملون في مجالات المخابرات
الامريكية ودعاة التعقل والحكمة وبلادهم مختلة والمسجد الأقصى مدنس
بالاحتلال اليهودي .. يوم انطلق هؤلاء ينسبون كل دعوة للاسلام الى

(١) كتبت احدهن في مجلة روز اليوسف . . ١٩٦٧/٧/١٠ « غير معقول ان
تحول المسلسلات التليفزيونية كلها الى مسلسلات دينية «مريم المجدلية»
و « رسالة السماء » اربأ (هي تربأ) بالدين ان يزج به في المعركة وان
(يصور حربا) مع اسرائيل على انه (هكذا) نزاع بين اليهودية والاسلام
لا بين الصهيونية التي تحركها الاصابع الاستعمارية » ..

ارأيت ان اماننا اكثر من كأس للمذلة سنجرعها قبل ان نتخلص من
« واغش » التقدمية .. الذين لا يحسنون حتى صياغة ما أفرخ في عقولهم
من سموم الغزو الفكري .. ويربأون بالدين ان يزج به في المعركة ..
وماذا زججتم في المعركة حتى تربأون بالدين ..؟

بينما يقول مؤسسو دولة اسرائيل « الحياة الدينية اليهودية هي
دون سواها سر خلود اسرائيل .. وسيظل اسرائيل خالدا طالما بقي
متعلقا بالتوراة ، فاذا هجر اسرائيل التوراة ، اندثر تاريخه في رمال
الصحراء ولو ظل مقيما في أرضه وبلاده ..

لذا يجب ان تكون بلاد اليهود الناهضة خير خلف من الوجهة
الروحية لبلاد اليهود فرسالتها قديمة كانت أم حديثة هي ان تظل محافظة
على شخصيتها وكيانها (هرتس / ١٩١٨) .

« ان نهضة اسرائيل القومية واحياء الدين اليهودي امران
لا ينفصلان » (شختر) .

الرجعية والحلف الاسلامي ويحملون معاول تهدم كل القيم وكل التراث ..
جعلوا من عصور الرشيد والمأمون عصور « الماخورات والدعارة » ..
ومن تشريعات الزواج في الاسلام بل ونصوص القرآن « تشريعات بدائية ،
وأفكار كهنة ، وأحذية صينية ، تشل نمو مجتمعهم النامي جدا .. وجعلوا
آية (مثنى وثلاث ورباع) .. استغفر الله .. « لمبة حمراء تنير فراش
الرجل » .. وعاثوا في تاريخنا فسادا .. فابن خلدون ناقل أفكار من الغرب
.. والمعري تلميذ الصليبيين .. والحركة القومية في مصر تبدأ بجاسوس
عمل في خدمة جيش الاحتلال الفرنسي ..

انطلق انصار « حوار » صحيفة المخابرات الامريكية والذين يحرقونها ،
انطلقوا يحددون من هو الرجعي ، ومن هو التقدمي في بلادنا ، ويتباهون
علنا بأنهم هم الذين أغلقوا مجلتي « الرسالة والثقافة » المنابر التي أضاءت
طريق الأمة العربية طوال نصف قرن .

ما من عميل لمجلة « حوار » الصادرة عن المخابرات الامريكية .. وعن
منظمة صهيونية يرأسها يهودي ، الا وهز أعطافه مبتهجا باغلاق « الرسالة »
محدرا من عودة الرجعية باعادة اصدارها ، منذرا بمصير الذين أصدروها ،
وكتبوا فيها ، وفضحوا المتآمرين على العروبة والاسلام .. وفي نفس الوقت
نراهم يأسفون على مصير مجلة « حوار » ويؤكدون انهم قرؤوها واعادوا
قراءتها فما وجدوا بها عيبا .. ويتهمون الذين هاجموا « حوار » بأنهم من
صحافة الحلف الاسلامي (١) .. وبعد ما فاحت وذاعت وشاعت ونشرت في
سائر الصحف صلة « حوار » بالمخابرات الامريكية راحوا يشنون على رئيس
تحريرها ورئيس المنظمة الصهيونية التي تصدرها ، ثم يحيون موقف هذا
الرئيس تحرير لأنه استقال بعد ما أصبح استمرار المجلة من المحال ..

وصبرنا على ذلك كله .. وفي اصرار الشهداء لم نكتف رأيا ولا بخلنا
بنصيحة ولا خشينا في الله لومة لائم ولا غضبة غاضب .. كنا ندرك ما يدبر

(١) مقالات لويس عوض بالاهرام ..

لأمتنا ونعيه .. ونعرف ان ما يدبر لنا هو الهول الذي لا هول مثله واصهار اليهود سيطرون على الطليعة ويوجهون الثقافة للجماهير .. (١) .

كنا نعرف ان حفنة من المثقفين المسيطرين على الفكر العربي ، هم قشرة عفنة متهرثة ، تفرز صديدا وتفسد على الأمة تفكيرها وتصيها بعاهات وأنواع عديدة من الشلل .. وانهم لأسباب خاصة جدا - كما قال براون - لا يستطيعون بغض اسرائيل ولا يمكنهم الدفاع عن الاسلام ..

فهم لا يعيشون مشكلة اسرائيل ولا يحسون خطرها .. اهتمامهم بنجاح اليسار الفرنسي في الانتخابات ضد ديغول ، يفوق اهتمامهم بسقوط بيت المقدس والعريش ..

(١) في ١٦/٥/١٩٦٥ ارسل م.ص.م. من كلية .. بجامعة الأزهر خطابا الى مجلة الرسالة قبل ان يطلقها « لويس عوض » مرفق به قصاصة من صحيفة الاخبار يقول فيها « ابعث لكم بهذه الكلمة من أحد التقديمين ، اقرأها جيدا فهو يسلم بوضع اسرائيل ويعترف بها هكذا على وضعها الموجود حاليا .. فنرجو ان تعلق بما تراه مفيدا والمصيبة الكبرى انه يعترف بذلك في جريدة كبرى يومية .. هذا وقد وضعت لكم خطأ تحت الجملة المقصودة حتى لا يعوزكم الأمر الى التعب والبحث .. »

والكلمة المرفقة بعنوان « رأيت أمس » يستعرض فيها الكاتب احلام الغد « صحيفة الانذار » بالنيا توزع مليون نسخة .. وصحيفة أسوان توزع ٣ ملايين .. وابنته نادية تتركب الصاروخ في رحلة قصيرة الى القمر .. وبعد ان ينسطل القارئ بهذه التمنيات عن الغد السعيد « يفوت » المحرر بيت القصيد وهو ما وضع القارئ تحتها خطأ فيقول : « وانتقلت بين القاهرة وتل أبيب ودمشق وبغداد بطائرة هليكوبتر تسمى التاكسي الجوي .. انها طريقة الانتقال المحلية بين البلاد العربية .. »

ولو كان الأمر غير ما فهمه القارئ ، لما أصر الكاتب على ذكر تل أبيب بالذات ، كان بوسعها ان يقول حيفا أو يافا .. أو عكا .. لأننا عندما نسترد فلسطين باذن الله .. فلن تكون هناك مدينة اسمها تل أبيب ..

أظن ذلك مفهوما .. فالعنى المقصود بوضوح هو انه في ذلك الغد السعيد سيفتح الطريق للسفر من والى تل أبيب مع دمشق وبغداد والقاهرة .

فاذا اضفنا الى ذلك ان الكاتب لديه اسباب « خاصة جدا » .. كما قال براون .. كان لنا ان نقول مع القارئ انها مصيبة كبرى .. والمصيبة الاكبر ان تغلق الرسالة ويشرد كتابها .. ويولى المسافرون الى تل أبيب بالتاكسي الطائر مهمة توجيه الجماهير ..

مارت

فيم كان اهتمامهم قبل العار بأسابيع ..؟

كانوا يتسابقون على دعوة اليهود وأنصار اليهود .. جاءوا بسارتر الى بلادنا كالغزاة وطاقوا حوله طواف العاهرات بجيش الاحتلال .. وجاء سارتر بعشيقته وعشيق عشيقته .. وهو يهودي الدين ، صهيوني الميول .. لا يخفي يهوديته ، ولا يوارى صهيونيته .. فلم يجرؤوا على الاعتراض حتى لا يغضب سارتر فتزلزل الأرض زلزالها ، بل بعضهم أراق ماء وجهه عند اليهودي هذا ليكون له واسطة عند عشيقة سارتر العجوزة والعجوز .. فتمهد له بدورها طريق اللقاء مع سارتر فيحظى منه بكلمة او بنصف جملة ، فيفوز بها في سوق الصحافة فوزا عظيما .. وطاقوا حوله يعرضون أنفسهم كالجواري في سوق الرقيق ، ولم يتورع هو وحيزبونه عن الكشف عن سيقانهم وفحص اسنانهم وابداء كلمات الاعجاب والنصح والتفريع .. ما كان ينقصهم الا جمع بصاقه وما يتساقط من شعره وشعرها ..

وعندما دفعت الحماسة بعض شباب الصحفيين ، من غير القادة والموجهين ، من غير سادة الفكر ، الى ان يسألوا سارتر سؤالا عن قضية فلسطين حتى لا يخرج بانطباع انها قضية من اختراع الحاكمين ولا تشغل بال المثقفين الذين تحاشوا ان يحدثوه فيها .. عند ما سأل بعض الصحفيين سؤالا عن فلسطين ضاق منظمو الحفل بهم وهاجموهم واتهموهم بالتخريب واعتذروا للضيف الكريم الذي تحداهم بقوله « ان لي رأيا في قضية فلسطين » .
مع ان كل دعواهم انهم جاءوا به ليكسبوه لصف العرب .. ومن ثم كان المفروض ان ينحصر برنامج الزيارة في الحوار حول فلسطين ..

اما « تفتيش » سارتر على نظامنا فهو اهانة من بقايا العبودية لأوروبا ..
ونحن لا نحتاج لشهادة من باريس بحسن سلوكنا وكون الدول العربية رجعية
أو تقدمية ، رأسمالية أو اشتراكية لا علاقة له بحق اليهود في الاستيلاء على
أرض العرب .

وقد أثنى سارتر على نظامنا .. وأيد حق اسرائيل في ضرب هذا النظام
واتزاع أرض شعبه ..

جاءوا بسارتر وانشغلت صحفهم في ما يشبه الحمى المسعورة في طبع
آيات التحية .. وتسجيل الحدث التاريخي الذي به كرمت الكنانة ..
واتصرت العروبة .. الا وهو زيارة سارتر وعشيقته .. وعشيق عشيقته ..
لمصر .. والغت دور النشر جميع تعاقدها لتؤلف المجلدات عن سارتر ..
وأنا أراهن بسنوات عمري وهي كل ما أملك .. ان كان قد طبع في هذه
الدور قبل العار عن فلسطين ، ربع ما طبع عن سارتر في هذه الحمى المسعورة
من الترامي على أقدام من لم ينكر تأييده لاسرائيل ، قبل الزيارة وخلالها
وبعدها ، بل والذي أصر على أن يصحب اليهودي معه وان يكون برنامج
الزيارة متضمنا توجهه الى اسرائيل مباشرة بعد زيارته التفقدية لمصر (١) ..
والله أعلم بما فعله هذا اليهودي الذي نزل ضيفا علينا رغم أننا .. كما يبدو
وماذا رأى .. وماذا سجل .. ومن قابل .. وماذا نقل ..

ولما وقعت الواقعة .. ووقف سارتر الى جانب لندون جونسون ،
ونسى كل اتهاماته لجونسون .. ففي سبيل اسرائيل مغفورة كل الخطايا ،

(١) سئل سارتر بعد عودته من زيارة مصر .. « هل وجدت في الاوساط
العربية محاولة للاعتراف باسرائيل ؟ فأجاب : ليست هذه هي المسألة ..
وذلك لعدم وجود حزب يساري قوي في مصر فان الحكم الاشتراكي في
مصر ما زال في مراحلها الاولى .. وذلك لا يسمح بوجود احزاب يسارية
قوية .. »

ولعل هذا هو سر النعمة التي تعزف الان باصرار مطالبة « بالحزب
الطليعي الاشتراكي » .

مباحة كل الجرائم .. (١)

ووصلت الدناة سارتر الى حد القول بان هذه الحرب ليست عدوانا استعماريًا على العرب ، بل هي عدوان من العرب على اسرائيل ..

وصل الأمر بمضيف سارتر حد الاعتذار عنه ، حتى بعد ما أدانه المفكرون الفرنسيون أنفسهم .. فيكتب باستهتار فاجر : « قال لي جان بول سارتر وهو في حالة تقرب من التمزق الداخلي » ..

ما الذي بقي من سارتر لم يتمزق ؟ .. وأتم يا حاشية سارتر .. ألم يبق فيكم صلب يتمزق ؟ .. أو تسمون ذلك تمزقا داخليا ؟ .. ان له اسما آخر .. لولا أن ديننا ينهي عن الفحش في القول ..

ان من يريد ان يؤرخ الذلة التي أصابت جيلنا على يد أذلاء الأرض .. اليهود ، فليؤرخ بدايتها باليوم الذي دخل فيه مصر « كلود لانزمان » اليهودي الصهيوني ، عشيق عشيقة سارتر .. ووقف المسئول عن الثقافة يقول : « انه لمن دواعي سرورنا أن نرحب كل الترحيب باسم المثقفين في الجمهورية العربية بالمسيو جان بول سارتر ، ومدام سيمون دي بوفوار ، وزميلهما كلود لانزمان » ..

« وليس من الضروري أن أقدم لكم جان بول سارتر ولا سيمون دي بوفوار فان فلسفتها وأفكارهما ومواقفهما معروفة في القاهرة .. كما هي معروفة في باريس والعالم كله .. انه بحق يمثل عصره وزمنه .. لأنه من هؤلاء الكتاب الذين حملوا لواء الحرية الانسانية والذين يعيشون هذا الصراع السياسي والمعاناة في سبيل التقدم . واذ كان جان بول سارتر محبوبا هنا في بلادنا فلأننا نرى فيه المثال الحي الذي يخدم فكرة انسانية لأنه يؤمن بضرورة الحوار بين الشعوب (اضبط) . ويدين كل من يقاوم

(١) ما يدور في المقابلات الخاصة بين هذه الشذمة وسارتر وامثاله يعطي امثال سارتر انطباعا بان المثقفين العرب يؤيدون الصلح مع اسرائيل ولكن الجو الرجعي لا يمكنهم من المجاهرة بذلك .. فيخرج .. بانطباع بان العرب والتقدميين منهم بالذات ، غير مصرين على عداوة اسرائيل .

هذه الحرية (هل خدعكم سارتر؟) ..

« ان وجود هذين الضيفين العظيمين رمز لما يدعو اليه كل الذين يؤمنون بالارادة الحرة .. انه يمثل أعظم حلم .. وهو حلم الأخوة الانسانية » ..

وقال آخر :

« التقى المفكر العظيم جان بول سارتر لقاء رائعا في السادسة والنصف من مساء أمس بأكثر من أربعة آلاف شخص .. وكان هذا اللقاء بفكر سارتر الثوري البالغ الوضوح والشجاعة هو أكبر لقاء ، اذ يستوعب هذا العدد الغفير من جماهير المثقفين على اختلاف درجاتهم ، ابتداء من أولئك الذين يطلبون العلم في رحاب الجامعة ، حتى حملة الأقلام ، وكبار رجال الفكر المسئولين وذلك بعد ان التقى ثلاث مرات بجماهير عمال ومثقفي الصعيد في أسوان » (١) .

وقيل :

« في اجتماع صغير يضم عددا محدودا من السيدات المصريات ، جلست سيمون دى بوفوار تسأل وتناقش في مشكلة المرأة المصرية .. ولقد اختارت مدام دى بوفوار أن يكون عدد السيدات اللاتي تقابلهن محدودا حتى تستطيع ان تسأل أكبر عدد من الأسئلة عن المرأة المصرية في مرحلة التحول الاشتراكي .. وكان واضحا انها تريد أن تعرف كل ما يمكن .. »

اما صديق « حوار » فكتب يقول :

« .. لن تقهري .. »

« منذ نزل سارتر وسيمون دى بوفوار وكلود لانزمان ضيوفا على « الاهرام » اصطحبناهم يوما بيوم ليشاهدوا معالم بلادنا .. واخذ سارتر ، لأنه لم يكن يتوقع كل هذا الاخلاص .. وكل هذا الاتقان في لغة غير لغته ..

(١) الاهرام ١٩٦٧/٣/٥ (قبل ٣ شهور بالضبط من عدوان اصدقاء سارتر علينا) .

وفي شعب غير شعبه .. ولكننا أخذنا معه ، حين رأينا أبناءنا الطلاب ينشرون حوله وحول سيمون دي بوفوار دفئا أكثر من شمس ربيعنا الدافئ .. لقد كان واضحا انهم قارئون لهما ، عارفون بأفكارهما الأساسية .. وعندما رأيت ما رأيت قلت لنفسي .. لن تقهري يا مصر ما دام فيك شباب ينبض بحب الحرية وينبض بحب الأحرار » (١) .

أعرفت لماذا قهرت مصر في الخامس من يونيه ؟ .. لأن مثل هذا الشباب كان يفتح على وجه الثقافة في مصر .. شباب يبعث الدفء في اوصال لويس عوض .. شباب يعرف أفكار سارتر الأساسية .. الصهيونية ، ثم لا يبغضه بغض الموت .. بل يحيط به .. وفي اسرائيل يتظاهرون ضد وصول سفير الماني .. بعد كل ما دفعته المانيا لاسرائيل .. ولكن هكذا كما يقول أحد مؤسسي الصهيونية « كن مهيبا يهابك الناس » ..

اما نحن فدليل اننا لن نقهر ، التفاف شبابنا حول داعية اسرائيل !!
« الى المفكر الشجاع .. جان بول سارتر .. يا سارتر الذي يضيء معتم الضمير » (٢) .

هذا الموقف من سارتر هو مجرد مثال على تهتك وتبعية القيادة الفكرية التي تحملت وحدها مسئولية توجيه الفكر العربي منذ عام ١٩٦٤ ، وتتصل الآن من مسئولية ما جنت وما قادت الأمة اليه من التفسخ والانهار .. عندما جردتها من الدين والحس القومي .

وكان الظن ان أقصى ما يحاولونه بعد ان فضحهم سارتر بتأييده للعدوان .. وبعد ان أصدر بيانا يؤيد فيه اسرائيل ، وقعه كما يقولون مع « صهيونيين حتى أطراف اصابعهم » بيانا « ظلت الاذاعة الاسرائيلية ، تذيعه لمدة يومين بمعدل سبع مرات كل يوم (٣) » . كنت أظنهم سيوارون

-
- (١) لويس عوض : الاهرام ١٩٦٧/٣/٣ .
(٢) قصيدة شعر : محمد ابراهيم ابو سنه : الاهرام ١٩٦٧/٣/٣ .
(٣) الاهرام : ١٩٦٧/٣/٣ .

عارهم بمجرد فرض الصمت والتجهيل على الشعب الذي نكب بوصايتهم .. ولكنني والحق يقال ، وعلى طول ما عرفت من توقعهم لم أتصور أبدا ان يبلغ بهم الأمر حد الدفاع عن سارتر ، حد التقول عليه ، والزعم بأنه يناصر العرب ويعاني تمزقا داخليا من أجلهم .

ان ذلك الذي نشر باسم « حوار مع سارتر » هو صفحة مذلة جديدة للفكر العربي .. صفحة مذلة ما كان يمكن ان تنشر الا استنادا لحقيقتين :

★ انهم يفرضون أرهابا فكريا على الملايين العربية ، تسمح لهم وحدهم بان يقولوا بلا معقب ولا مفند لهم ولا محتج .

★ انهم في ظل هذا الاحتكار الذي يتمتعون به ، يمارسون احتقارا بالغا للعقل العربي ، للانسان العربي ، فلا يتورعون عن نشر أية أكاذيب مهما تكن سخافتها ولا معقوليتها لأنهم وحدهم يملكون حق الكلام .

بين آلام الأمة العربية ومأساتها الرهيبة ، كانوا في باريس « يحاورون سارتر » كانت الأراضي العربية تموج بجيش احتلال اذلاء الأرض .. وتتجرع أمتنا كأسا من المذلة ، لم تتجرع مثلها على طول تاريخها وكانت رؤوسهم « تموج بعلامات الاستفهام المتلاطمة .. كيف يمكن لرجل اشتهر بمواقفه من أجل الحرية .. ان يتخذ موقفا مضادا منها عندما يتعلق الأمر بإسرائيل .. » كأنها أول مرة ..

وفي سبيل الدفاع عن سارتر ، يمتن الانسان العربي ويمتن عقله وادراكه فتروى لنا محادثة وهمية جرت مع سارتر والخطأ سيمون شرح لهما فيها كاتب كبرى الصحف العربية ، كيف ان ايلات كانت قرية عربية اسمها « ام الرشراش » .

ودهشت سيمون (١) وارتج عليها وارسلت نظرة تساؤل الى سارتر ،

(١) التي استضافها الكاتب قبل ٣ شهور للتفتيش على الحركة النسائية في مصر .. كانت تظن ان ايلات موجودة منذ عهد الالواح وموسى ..
بمن يغفر هؤلاء ؟

الذي أجاب بدوره بنظرة يتبعها صوت متعب (لم يقل لنا من ماذا ؟) •
قال سارتر - هذا صحيح قانونا •• لقد عرفت ذلك أخيرا •• وصاحت
سيمون دى بوفوار : « لماذا لم توضحوا ذلك •• لماذا لم تشرحوه للرأى
العام هنا » •

وقلت : هذا بعض أخطائنا •• وأنا أعترف بها ••
هل رأيت أيها المواطن العربي •• غلطة من التي تسببت في تأييد سارتر
للصهيونية ؟ •• غلطتنا لأنه فاتنا ان نقول لفيلسوف العالم وضير العصر ،
أن ايلات كانت أم الرشراش (١) •• انه يصدر عددا خاصا من مجلته عن
قضية فلسطين يحملنا في مقدمته مسؤلية كل ما جرى عام ١٩٤٨ •• يصدر
هذا العدد دون أن يقرأ كتابا أو يدرس وثيقة أو يتأمل خريطة •• ولا قرأ
ما ظلت صحفنا تنشره منذ بداية الأزمة ، والى الخامس من يونيو •• ولكن
سارتر قبل ان يفتى ويصدر البيانات في حرية عبور المضائق والمياه الاقليمية
دون أن يعرف من أين والى أين تبدأ هذه المياه وتنتهي ••

وبعد ان يلقي علينا العقائدي التقدمي محاضرة في خطأ طرح القضية
على « أرضية دينية » •• مع اننا نشهد - والحق يقال - أنهم لم يطحوها
على هذه الأرضية أبدا •• انما الذين فعلوا هم اليساريون الفرنسيون ••
الذين ركزوا دعائهم على « حرب المسلمين لليهود » لأنهم أعلم بالعواطف
الحقيقة التي تحرك رجل الشارع في أوروبا •• ويعرفون العداوة الكامنة التي
يثيرها « جيش المسلمين » في أوروبا - امريكا الصليبية •• لذا فهم في وقت
الجد يستصرخون صليبيتهم ، تاركين لصعاليك الفكر التقدمي مهمة تفتيت
مقاومة شعوبنا المسلمة بالتحذير من « الأرضيات الدينية » •

أما المذل حقا فهو الرد الذي وضع على لسان سارتر ليؤكد به أن العرب

(١) وماذا كان النوكي يقولون له طوال رحلته في مصر .. ان لم يقولوا ذلك
.. وما الجديد .. هل يجهل سارتر ان فلسطين كلها كانت عربية وليست
ام الرشراش وحدها ؟ ..

ليسوا المسلمين وحدهم .. يقول سارتر كما هو المنشور بالحرف الواحد :
« يجب أن أؤكد أولاً أنني رأيت عربا ليسوا مسلمين .. هذا صحيح

فعلا .. ومن هنا فأنا لا أوافق على اعتبار المشكلة مشكلة دينية » ..
ولا أدري لماذا لم تنشر الصحيفة هذا النبأ المذهل في صدر صحيفتها
الاولى .. فتخرج علينا بمأنتت أحمر أو أصفر يقول « سارتر يؤكد أنه رأى
عربا مسيحيين » .. ومن المؤلم حقا أن المحرر ضن علينا بتفاصيل هذا الحدث
العجيب والنادرة التاريخية .. رؤية سارتر ، بالعين المجردة ، عربا مسيحيين ،
الأمر الذي أكد له انها ليست حربا دينية .. لأن المسلمين وحدهم لا يمكن أن
تكون حروبهم الا حروبا دينية .

مطلوب منا نحن العرب .. أن نصدق أن سارتر لم يكن يعرف بوجود
عرب مسيحيين .. حتى رأهم رأى العين .. فطوبى لمن آمن ولم ير ..
سارتر لم يقرأ كتابا عن تاريخ فرنسا ودورها مع المسيحيين في الشرق ..
سارتر لم يسمع ببلنان الذي حكمته فرنسا ثلاثين عاما .. سارتر لم يسمع
بالكنيسة القبطية أقدم كنائس العالم .. وكان بحاجة الى أن نرسل له
مسيحيين عربا أحياء يتحسسهم ليتأكد من وجودهم .

رغم كل كراهيتنا لسارتر ، فهو أكبر من أن يقول هذا .. وصحف
فرنسا أكثر احتراما لنفسها من أن تنشر هذا .. ولكنه ينشر علينا .. نحن
الأسرى الذين ينكل بنا .. بقراءة هذا التول . ويفرض علينا أن نصدق
ذلك لكي تبرأ ساحة محرري « الطليعة » الذين دعوا سارتر ، واليهودي
عشيق عشيقته الى بلادنا .. وأقاموا لهم أقواس النصر ، وروجوا لمجلته
التي اندفعوا الى « حوار مفتوح » فيها مع الاسرائيليين .. ولم يبخل عليهم
رئيس تحريرها اليهودي ضيفهم بالتقريع والسخرية وجمع المقالات العميلة
للسهيونية الى جانب مقالاتهم .. ثم هم اليوم ، ورغم كل ما أعلن وذاع ،
يفترون الكذب على لسان سارتر ليبرأوا أنفسهم ويعيدوا الحوار معه ..
ومع من خلفه من فوق رأس الشعب العربي .

يعترف « المحاور » أن سارتر قد « لزم الصمت منذ البيان الذي أيد فيه إسرائيل الى أن عانى ما يشبه التمزق الداخلي .. ويعتذر على لسان سارتر في المسرحية المسلسلة المنشورة في صحيفة الأهرام بأن سارتر « لم تتح له فرصة مخاطبة العرب مباشرة » .

ولم نفهم ماذا يطلب سارتر لكي يخاطب العرب مباشرة .. دعوة أخرى ؟ وكيف خاطب اليهود مباشرة .. بل ألم يكن بيانه الذي أيد فيه اليهود يخاطب العرب مباشرة ؟ ولو نشر اليوم سطرًا يؤيد فيه العرب لوصل مباشرة الى العرب ولعلقه اتباعه على أستار « سميراميس » .. ولكن سارتر لم ينشر حرفًا في جريدة أجنبية يؤيد فيه العرب .. ومن حقنا إذن أن نرى في هذا الحوار « الافتراضي » الذي نشر في القاهرة ، مجرد تعبير عن رأى ناشره ، ولا شأن له بسارتر ، الا كصلة سقراط بمحاورات أفلاطون على لسانه . لأن سارتر يملك أكثر من وسيلة للنشر يستطيع أن يعبر خلالها عن رأيه بطريقة أوضح وأصرح .. ونحن لا يعيننا موقف هذا الصهيوني القمىء في شيء .. ونرفض خلع صفة انسانية على من لا تتحرك انسانيته لشعب يطرد طردًا من أرضه .. ويقتل فوقها ليسكنها آخرون .. ثم يتناقش في السلام والحرية والمأساة وعقدة ذنب .. الخ .

ان الذي يعيننا هو فضح هذه الفئة المسيطرة على الفكر العربي ، والتي تريد استغلال الهزيمة العسكرية في فتح حوار مع إسرائيل .. فهذا الحوار الدائر فوق رأس الشعب العربي مع سارتر وغيره ، انما يراد به أن يسمع في غير فرنسا .. وأن يرد عليه بغير الفرنسية .. اننا نأمل بفضح هذه الطغمة وأن تهب الجماهير العربية لسحق سيطرتها قبل أن تقودنا للدمار النهائي بعد أن قادتنا الى العار والمذلة ..

ومن هنا فان النقاش لما وضع على لسان سارتر ، ولما نشر على لسان غيره هو في الحقيقة - نقاش لوجهة نظر كاتبه العربي الجنسية ، خاصة وأنه لم يرد عليه ولا احتج عليه .. ولا علق حتى مجرد التعليق ..

تقول كبرى الصحف العربية على لسان سارتر : وفي تقديري أن الصهيونية كما تصورها هرتزل في « نهاية القرن التاسع عشر ، أي القائمة على فكرة انشاء دولة يهودية في القدس ، لم تكن جريمة بمقياس ذلك العصر .. لماذا .. لقد كانت حلا استعماريا مثل كل الحلول الأخرى في ذلك انحين ، لم يكن أحد يفكر في ذلك الوقت في مصير الشعوب المستعمرة ، أو التي كان يفرض عليها الاستعمار بالانتداب ، وكانت فلسطين تتبع في ذلك الوقت الأتراك (١) » .

ولم يجد المحرر العربي الجنسية ما يعترض به على هذه التبرئة للحركة الصهيونية بل اعترض فقط على محاولتها للتوسع .. يقول : « ولكن ألا ترى أن الأمر الخطير هو أن الصهيونية تهدف باستمرار - وبحكم مفهوم الأحداث المتوالية - الى توسيع حدود اسرائيل على حساب العرب لافساح المجال لمهاجرين وعلى الدوام .. »

وهذا المنطق المزيف يبرر مولد الحركة الصهيونية ، ويبرر تطلعها الى انتزاع فلسطين من شعبها العربي وتأمرها على تحقيق هذا الهدف الاستعماري ..

وليس صحيحا ان الاستعمارية لم تكن مدانة في هذا الوقت ، وصحيح انها لم تكن مدانة - ولا زالت - في ضمير الانسان العربي ، القائم على

(١) الاهرام ٦٧/٧/٣ . هذه نقطة خطيرة لا في تفكير سارتر ، بل في تفكير ايتام المعلم يعقوب ، وصبحي وحيد .. فما دام الاتراك مستعمرين مثل الانجليز والفرنسيين والصهيونيين .. فلا فرق بين الخضوع للاتراك او الانجليز .. بل بموجب « المادة الجدلية المخبرانية المركزية التبشيرية الصليبية » .. فان الجديد أفضل من القديم ، فانتقال مصر الى الاحتلال البريطاني خطوة تقدمية ، وكذلك انتقال فلسطين من حكم الاتراك للصهاينة؟! ..

التفرقة بين البشر .. ولكنها كانت مدانة عند الانسان الشرقي .. وهل أدل على الادانة والرفض من المواجهة المسلحة لحركة الاستعمار الغربي .. من التاريخ الدموي للاستعمار الغربي في الشرق ..
ان القيم لا يحددها الغرب ، ومقياس الفضيلة والرذيلة ليس موقف الغرب وحده منها .. ولا يمكن ان نحكم على الجريمة من وجهة نظر مرتكبيها ..

ان الغزو الفكري الذي صور لنا أن التاريخ مجرد موظف في بلاط الحضارة الغربية بحيث تصبح وجهة نظر هذه الحضارة هي وحدها المحددة لما هو المشروع وغير المشروع .

كانوا يقررون ان القانون الدولي هو ما يسود علاقات المجتمع المتدين .. اما خارج هذا المجتمع الغربي فهم احرار في سلوكهم ، وبالتالي فأى جرم يرتكب خارجه ، أي في أرض الغالبية العظمى للجنس البشري وصناع الحقبة الكبرى من تاريخ الانسان .. وبموجب هذا المنطق كان أي جرم يرتكب ضد الشعوب الملونة لا يعد جريمة .. تماما كذبح الحيوان ، ليس قتلا .. كيف يطلب منا ان نقبل هذه المقاييس .. أن نعتبر اباداة شعبنا وطرده من أرضه ليس جريمة .. بمجرد أن الضمير الغربي وقتها لم يكن يرى ذلك؟ .. انها جريمة بجميع المقاييس وجريمة مرفوضة ، رفضناها وقاومناها وأدانتها شعوبنا .. ولكن المفكرين « الأحرار » الذين جرى الحوار معهم وقوات الاحتلال الصهيوني جائمة فوق أرضنا .. بذلوا جهدهم في تبرئة الحركة الصهيونية .. وتبرئة أهدافها في استعمار فلسطين .. وقبل المحررون العرب ، الحوار معهم على هذا الأساس ولم يعلقوا عليه ، فضلا عن رفضه وتفنيده ..

وبعد هذا التسليم بمشروعية الحركة الصهيونية – على الأقل بمقاييس مولدها – نرى الحوار ينتقل لنقطة أخرى هي شرعية الوجود الاسرائيلي .. ولأن الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية تعترف بوجود اسرائيل ..

ولأن كوسيجين وجونسون عندما اجتمعا خرجا باتفاق على حقيقة واحدة هي أن اسرائيل وجدت لتبقى .. لذا أصابت الحكمة كتابنا ، ودعونا للتخلي عن شعار ازالة اسرائيل .. أي شعار عروبة فلسطين .. لأن لا الأصدقاء ولا الاعداء يقبلون هذا الشعار .. وانحصر الحوار في البحث عن اسلوب للمعايشة مع اسرائيل .

والحوار كما وضحت خطوته وتوضح كل يوم يهدف الى الاعتراف باسرائيل .. وهو يعتمد على عدة مفاهيم بدأ الترويج لها علنا وتبجح منقطع النظير .. وهي :

- التفرقة بين اليهود والصهيونية .. واللعب على حكاية عداة السامية ، والنشاط النازي ، والسخرية من الحديث عن مؤامرة صهيونية .. والاصرار اللحوج الممجوج على وجود يهود يعادون الصهيونية ..
- اعطاء اسرائيل شكل الدولة والمجتمع ، تنقسم داخليا الى شعب وطبقة حاكمة والطبقة الحاكمة مرتبطة بالاستعمار وبالاستعمار الامريكى بالذات، فهي عميلته في الشرق الأوسط .. وليس صحيحا — عند هذا المنطق — ان اليهود او حتى الصهيونية تسيطر على امريكا .. بل ان امريكا هي التي تسيطر على اسرائيل . ومن خلال هذه التبعية تمثل اسرائيل المصالح الامريكية في الشرق الاوسط ..

فالشعب الاسرائيلي لا مصلحة له في هذه العلاقة بين الطبقة الحاكمة والولايات المتحدة الامريكية ، وبالتالي فان تحرر الشعب الاسرائيلي من سيطرة عملاء امريكا كفيل بانهاء الدور الاستعماري الذي تلعبه اسرائيل في الشرق الأوسط ، كفيل بانهاء التناقض بين اسرائيل والشعوب العربية ، أو الأنظمة التقدمية في العالم العربي ..

- والتسليم بما سبق يقودنا الى واجبنا في انجاز عملية التحرر هذه ، تحرر الشعب الاسرائيلي من سيطرة الطبقة الحاكمة .. أو على الأقل العمل على تهيئة الجو الذي يكافح فيه الشعب الاسرائيلي للتحرر من

سيطرة الفئة العميلة الاستغلالية الحاكمة ..

— بموجب هذا المنطق فإن الذي يعرقل تحرر الشعب الاسرائيلي ، ويدعم الوحدة الداخلية ، أي يدعم سيطرة الطبقة العميلة العدوانية هو الاحساس بالخطر الذي يعيش فيه سكان اسرائيل . وهو الاحساس الذي يخلقه التهديد العربي او الحصار العربي .. أو الاصرار العربي على استرداد أرض فلسطين .. والقاء اليهود في البحر .. أي انه من واجبا ان نكف عن هذا التهديد ، ان اردنا لشعب اسرائيل ان يتحرر من سيطرة الاستعمار الامريكى ، ولكي تصبح اسرائيل دولة تقدمية ، تقف بجانب « شقيقاتها » الدول العربية التقدمية ضد الرجعية العربية .

وليس هذا من باب تحميل فكر الآخرين ما لا يتحمل (١) .. فعلى لسان سارتر ، كتبوا ، يحملوننا نحن العرب مسؤولية اتجاه اسرائيل الى الغرب » ..

« انها حين وجدت كدولة تمتعت بعون القوى الغربية .. هذا فضلا عن رفض العرب لأي تعامل معها .. بهذا كله أصبحت اسرائيل اليوم

(١) كتب فيليب جلاب « سلسلة مقالات في آخر ساعة يبرىء فيها اليهودية من الصهيونية ، ويبرىء الصهيونية من التآمر على العالم .. بل ومن السيطرة على امريكا .. » والدليل على صحة ما نقول انه ليس كل اليهود صهيونيين ، وليس كل المسيحيين أو المسلمين في العالم اعداء للصهيونية .. (يعني فتشوا عن صلة اخرى تربط الشعوب ببعضها تربط اليهودي والمسيحي والمسلم .. غير اليهودية والمسيحية والاسلام ، وبالطبع ليس كل العرب ضد الصهيونية ولا كل اليهود ضد العرب .. وبالتالي فمن الممكن ان يتحد بعض اليهود وبعض العرب ضد بعض اليهود وبعض العرب) ويكمل كاتب آخر ساعة : « فمثلا مكسيم رودنسون المستشرق (اليهودي) الفرنسي الكبير ، وكيف قاد الحملة ضد الصهيونية ضد اسرائيل في فرنسا قبل واثناء العدوان الاخير (آخر ساعة ٣٠/٨ / ١٩٦٧) والحقيقة المذهلة ان رودنسون لا يعتبر نفسه يهوديا ! ولكنهم يصرّون على ذلك لتبرئة ساحة اليهود .. مع انه لا يقول كل ما يجب ان يقال ..

موضوعيا الى جانب الاستعمار .. هذا واقع تاريخي تطور من تلقاء ذاته •
وهنا أختلف معك في أن هذا كان منذ البداية ثمرة تواطؤ مباشر مقصود من
جانب الاسرائيليين ، وفي تقديري انه ربما كان من الممكن ان تسيير الأمور
في غير هذا الاتجاه عام ١٩٤٨ ولكن ما حدث غير ذلك » ••

اذن هجوم العرب على اسرائيل هو الذي دفعها الى احضان الغرب ••
حتى تواطؤ اسرائيل مع الاستعمار له ما يبرره عند سارتر •• وينشر
هذا التبرير حتى بدون رد ولو من باب الحكمة المسرحية ••

يقول الكاتب على لسان سارتر : « يجب أن نلاحظ أولا أن اسرائيل
لا تستطيع قط أن تقضي على حقيقة وجود مائة مليون عربي • ولا أظن أن
اسرائيل في ذاتها قادرة أو تسعى وحدها لتحطيم العرب •• ومن هنا فهي
تتسلح بصورة استثنائية ، وتقيم سياسة تنهض على القوة العسكرية ، وقد
زادت هذه السياسة تفاقما بقدر اعتمادها على عدد محدود من السكان
(ربما يخفف منها زيادة السكان) •• ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار اسرائيل
في حالة تأهب عسكري دائم وسط العرب » •• وفي رأبي الشخصي هو أن
الأمور تقضي الى ان اسرائيل في كل مرة تطلق عدوانيتها لأسباب تتعلق
بكيانها ووجودها •• ولكنها تخدم موضوعيا المخطط الاستعماري » ••

« ان هذا الدور ليس في مصلحة الاسرائيليين •• ان مصلحة الاسرائيليين
عكس ذلك •• وان دولة تتكون من عنصرين ساميين ، عرب فلسطين واليهود
لن يكون لها عندئذ طابع استعماري غربي او عنصري » (١) •

وجنودنا ما زالوا يقطعون رمال سيناء تحت الشمس الحارقة وبغير
قطرة ماء •• وأتت بعضهم الجرأة للحديث عن مصالح اسرائيل ودولة موحدة
من العرب واليهود ونشروه في كبرى الصحف العربية !••
ومكسيم رودنسون يقول على صفحات « الطليعة » •

« فالحل الوحيد هو تجريد اسرائيل من الصهيونية ، فهذا الاحتمال

(١) الاهرام الصادرة في القاهرة بتاريخ ١٩٦٧/٧/٣ .

لا ينبغي النظر اليه على انه مستبعد تماما . . بشرط توافر قسط من الزمن طويل نسبيا ، وبشرط انزواء التهديدات التي تدعم الوحدة الداخلية وتقوي الأيدلوجية الصهيونية داخل اسرائيل » .

ثم يعود فيكرر على صفحات المجلة العربية الدعوة لوقف سياسة المواجهة ، سياسة الدفاع عن النفس التي يمارسها العرب فيقول : « فالمهاجرون اليهود الذين وفدوا من اوروبا لا يشكلون اليوم الأكثرية في اسرائيل . . والجيل الجديد الذي ولد هناك ، وكذلك يهود البلدان الشرقية والذين يتحدثون باللغة العربية ، هم الذين يشكلون هذه الأغلبية . . فاذا انزوت التهديدات فمن المتصور حدوث هذا التحول داخل اسرائيل ، أي الى دولة يغلب عليها الطابع الشرقي . . وهو الأمر الذي يخشاه قادة اسرائيل بقوة » (١)

ولطفي الخولي قالها بصراحة لم تقل في صحيفة علنية عربية منذ ١٩٤٨ . . قال « اننا يجب ان نميز بدقة بين اليهوديين الصهيونية والنظام الاسرائيلي الذي يشكل اداة استعمارية في بلادنا ولا يجب ان يقف التمييز عند خارج النظام الاسرائيلي فحسب ، بل يجب ان يمتد الى داخله » .

ان عداءنا ليس موجها في قليل أو كثير الى المليونين ونصف المليون يهودي عامة والى العمال والفلاحين (٢) منهم خاصة المستغلين والمستعبدين داخل النظام الاسرائيلي وانما هو ضد النظام الاسرائيلي كواقع عنصري

-
- (١) الطليعة ٦٧/٨/١ ونشر ايضا لا بدون تعليق فحسب بل بمدح وتقريظ من صحيفة « القوميين العرب » في بيروت مجلة « الحرية » . وبموجب هذا المنطق يعتبر عدوان ٥ يونيو عملا تقديما لانه على الاقل ازال الخوف من التهديدات التي تبالغ فيها الطبقة الحاكمة في اسرائيل . .
- (٢) لماذا نسى السيد لطفي الخولي بقية تحالف قوى الشعب . . الرأسمالية الوطنية والمثقفين والجنود . . ام هو يرى اسرائيل في مرحلة الثورة البروليتارية . . لم يقل !؟

استعماري يخدم مصالح الامبريالية ويعمق بذور المعاداة للسامية (١) في المنطقة ويستغل وجود جماهير اليهود جنبا الى جنب مع العرب من المسلمين والمسيحيين « (٢) .

هذا هو المنطق الذي يروج له الشيوعيون في بلادنا الآن .. انهم يمهدون للاعتراف باسرائيل وانهاء حالة الحرب معها .. لأن حالة الحرب هذه هي التي تخلق التهديد الذي يحقق الوحدة الوطنية داخل اسرائيل .. ويمكن الطبقة الحاكمة من فرض سيطرتها العسكرية على المجتمع واخفاء المتناقضات والارتباط بالاستعمار الامريكى .. وعرقلة تحول المجتمع الاسرائيلي الى مجتمع شرقي ، يتعايش ويندمج مع الشعوب العربية .. فهم لا يعادون الوجود الاسرائيلي ، ولا المجتمع الاسرائيلي .. ولا الدولة الاسرائيلية .. بل نظام الحكم القائم في اسرائيل ويريدون تحرير شعب اسرائيل منه (٣) .

وهذا المنطق بدأ في بلادنا مع فجر الحركة الشيوعية ومن خلال الزواج المريب بين اليهود والشيوعيين .. ولا شك ان الحركة الصهيونية وهي تعرف أن معركتها القادمة ستكون مع العرب ، قد حرصت على السيطرة على الاتجاهات السياسية .. واذا كانت من خلال ارتباطاتها المالية والاستعمارية قد ضمنت الاطار الذي يمكن ان تتحرك فيه الطبقات الحاكمة فقد واجهتها مشكلة السيطرة على تحركات الطبقات الوطنية .. ولم يكن من الممكن توفر

(١) حتى عداء النظام الاسرائيلي ينبعث من حرصنا على عدم عداء اليهود !!

(٢) الاهرام : ١٩٦٧/٩/٩ .

(٣) اليس هذا تدخلا في الشئون الداخلية لاسرائيل؟! .. ولو ان المزاح في قضايا المصر ثقيل !

« ايللي كوهينات » (١) بأعداد كافية في جميع الحركات .. لذلك لجأت الحركة الصهيونية الى انشاء منظمات تحت ستار الشيوعية .. أعدتها للحظة الحاسمة ، وهي لحظة قيام اسرائيل ، وكلهم أيدوا قيام اسرائيل وتحملوا في سبيل ذلك اضطرارها هائلا (٢) .

(١) « ايللي كوهين » يهودي مصري ، سافر الى امريكا اللاتينية ، ومن هناك ادعى انه مسلم ومن حزب البعث وعاد الى سوريا .. ومن خلال الكلام العقائدي والجنس والمال ومساعدات الكوهينات الآخرين .. استطاع أن يصل الى منصب قيادي في حزب البعث وحضر جميع الاجتماعات القيادية والعسكرية وزار ورسم جميع المناطق العسكرية وكان مرشحا للوزارة . وقبض عليه بالصدفة المحضة .. وأعدم بسرعة مريبة وربما قبل ان يفشي باسماء « الكوهينات » الآخرين .. ولا بد ان نفتش دائما كلما اشتدت غرابة السلوك .. فربما يكون كوهين آخر مختف !.. (عرضت اسرائيل استبدال جثته بخمسمائة اسير سوري لكي يدفن طبقا للشريعة اليهودية بعد أن غرر بالحكم الذي يطبع مقالات ضد الله) .. كانت « حدتو » الحركة الديمقراطية للتححر الوطني يرأسها « هنري كوريل » يهودي و « ديمقراطية شعبية » يرأسها ريمون دويك ويوسف درويش (يهوديان) « واسكرا » يرأسها « ايللي شوارتز » (يهودي) والمنظمة الشيوعية المصرية ترأسها « اوديت » وسلامو زوجها (يهوديان) وهذه المنظمات الشيوعية الرئيسية في مصر قبيل الحرب الفلسطينية وهي التي اندمجت وانقسمت بعد ذلك حتى وصلت الى ثلاثين منظمة .. لم تخرج ابدا عن سيطرة اليهود ..

وكان سكرتير الحزب الشيوعي العراقي في عام ١٩٤٧ هو « شلومو دلال » واللجنة المركزية الاولى للحزب الشيوعي السوري - اللبناني ، كان السكرتير العام فيها هو « جاكوب تير » يهودي جاء من فلسطين ليرأس الحزب !.. وبعد انتخاب القيادة الجديدة برئاسة بكداش ارسلت فرج الله الحلو الى تل ابيب لتنسيق العمل ، واستقدمت اليهودي لينجمان لينفسكي كمستشار (صفحات مجهولة محمد الزرقا - الياس مرقص) وخرجت جريدة « القاعدة » لسان حال الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٨ تقول « ناضلوا في سبيل انهاء حالة الحرب واعلان تأليف الدولة العربية المستقلة الديمقراطية في القسم العربي من فلسطين » واصر الشيوعيون العراقيون كتابا سموه « أضواء على القضية الفلسطينية ، ختامه : « فليحى التعاون والتحالف بين الوطنيين والديمقراطيين العرب واليهود لاحباط خطط الاستعمار والرجعية ، ولتحى الصداقة العربية - اليهودية » .. =

وعندما مرت مقالات « الخواجات » دون احتجاج أو مظاهرة .. تشجعوا .. فكتب (١) اعلان صريح ، يؤكد أنهم لا يعادون المليونين ونصف المليون يهودي سكان اسرائيل ، وبالذات العمال والفلاحين منهم .. وقيل في « روز اليوسف » (٢) : « الذين يحملون السلاح لتحرير أرضهم ، لا بد أن يدركوا أن خطر اسرائيل يكمن في أنها قاعدة امبريالية عدوانية .. ولا يكمن في أن سكانها من اليهود » .

كذبت والله ! لو أصبحت اسرائيل جمهورية ديمقراطية شعبية ، لما فتر عداؤنا لها ، وكراهيتنا لها ، واصرارنا على عروبة أرضنا التي تحتلها ، ولسنا نبغض اسرائيل أساسا الا بسبب هؤلاء السكان اليهود ، لا لأنهم يهود ، بل لأن هؤلاء اليهود احتلوا أرضنا ، ومزقوا وحدتها ، وطردها شعبنا ، ولهم في بلادنا مطامع لا حد لها .. ولو كان هؤلاء انجليزا أو ألمانا أو ياجوج ومأجوج - لكان خطر اسرائيل يكس في أن سكانها من ياجوج ومأجوج .. وليس أبدا لمجرد موقعها من الصراع العالمي .. فأثيوبيا قاعدة عدوانية امبريالية ، وكذا فرموزا .. ولكن شتان بين خطر وخطر .

وتحدث « روز اليوسف » عن تحرير اسرائيل .. أي : تحرير شعب اسرائيل من النفوذ الامبريالي ، كي تصبح دولة تقدمية ، وتحضر ندوة التقدميين المقترحة ! فتقول : « ان العرب يدركون أبعاد النفوذ الامبريالي

= وفي عام ١٩٥٣ « ان الشعب العراقي يرفض بآباء ان يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » ..
« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية العربية العفنة » ..

(ولأن الاهرام تصدر علنا .. فان جوهر فكرة القاعدة .. يقال هكذا : فلا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود بل للبورجوازية الاسرائيلية .. أليس كذلك ؟) ولأن كتاب عبد المعبود الجبيلي كان علنيا في ١٩٤٧ فقد دعا « لجهة متحدة مع اليهود ضد الاستغلال الصهيوني والاستعمار الاجنبي » .

(١) لظفي الخولي .

(٢) احمد حمروش : روز اليوسف ٢٣/١٠/١٩٦٧ .

في اسرائيل (وليس لاسرائيل) ، ويعرفون الخطر الذي يهدد الأمة العربية من الاستثمارات الامريكية « (قبل ٤٨ ساعة من ضرب الزيتية ، حيث الاستثمارات المصرية) .

وتتحدث عن القوى التي يجب أن يتحالف معها الثوار الفلسطينيون ، فتقول : « هناك مثلا في اسرائيل عناصر تدين العدوان الاسرائيلي .. تتمثل أساسا في السكان العرب وحركة الأرض والحزب الشيوعي الذي أعلن موقفه ضد العدوان صراحة .. وتعرض سكرتيره العام للاغتيال منذ أيام . » لا بد من عقد صلات سياسية وثيقة مع هذه العناصر التي ترفض القهر على أساس عنصري أو ديني أو طبقي » .

أرايتم يا عرب ما هو الاسم الجديد لشعب فلسطين ؟
« السكان العرب » !

أرايتم ما الذي يدينه هؤلاء ؟

« العدوان الاسرائيلي » ، وليس الوجود الاسرائيلي .. لا .. فهم مواطنون اسراييليون مخلصون .. كما تشهد - أو تفترى - عليهم « روز اليوسف » .. وهم في نفس المستوى مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي .. ومطلوب من منظمة الفتح أن توثق صلاتها بالجميع على قدم سواء .. « السكان العرب » « والحزب الشيوعي الاسرائيلي » .. يا ترى هل يوافق الحزب الشيوعي الاسرائيلي على قتل زعماء اسرائيل ، ونسف مؤسسات ومنشآت اسرائيل ، أم يدعون العرب للكفاح داخل الكيان الاسرائيلي لجعله ديمقراطيا تحريا ؟!

ما جزاء من يدعو الى التعاون مع الأعداء في ظل الحرب ؟
يا ترى ، أما زال قانون العقوبات ساريا ؟

وتطالب « روز اليوسف » منظمات الفدائيين « بأن تضع ميثاقا يجتمع حوله المناضلون (منظمة الفتح ، مع الحزب الشيوعي الاسرائيلي) .. ميثاق يرسم صورة كاملة لمستقبل اسرائيل وفلسطين معا .. »

قولوا يا عرب .. هل « لاسرائيل وفلسطين » مستقبل معا ؟
انهم يضعون اسرائيل قبل فلسطين ، ويقلقهم مستقبلها ، ويطالبون
الحركات القداائية - وهي تخوض معارك أقسى من آن توصف بأنها انتحارية
- يطالبونهم بالاهتمام بمستقبل اسرائيل !!

بھودي و صربوني

وعندما نرد على هذا المنطق ، فنحن لا نهدف اطلاقا الى اقناع هذه الفئة .. لأننا كما قلنا ، نعرف أن لديها أسبابها الخاصة التي تمنعها من الاقتناع (١) ، ونعرف أن بعضها يؤمن بالتعايش والتعاون مع اسرائيل .. ولا نهدف أساسا لكسب ما يسمى بالرأى العام العالمي فهذا الرأى الأصم الأعمى .. لا يؤمن ولا يقتنع الا بالقوة .. انما نريد أن نقضي على ما قد يتسرب من سموم هذا الغزو الفكري لبعض شبابنا .. فان هذا الغزو يفوق في خطورته الغزو العسكري ولو احتلت كل بلادنا .. وبقي العقل العربي سليما رافضا للاحتلال مصرا على المقاومة ، مستعدا للموت والقتال حتى النصر .. فلا خوف على العرب ولا على بلاد العرب .. ولكن الهزيمة العسكرية الجزئية يمكن ان تكون بداية النهاية للجنس العربي ، ولو ان العدوان الصهيوني انتصر داخل رأس العربي .. لو انه كسب معركته داخل الفكر العربي .. لو ان العربي تشكك لحظة في عدالة موقفه وحتمية اتصاره .. فقد كسبت اسرائيل الحرب ..

ومن هنا كان اهتمامنا بالرد .. وردنا يتلخص في :

« أننا نحن العرب .. المسلمون بالذات لا نعرف التعصب الديني .. لأن موسى عليه السلام نبي في ديننا .. ورغم كل ما فعله بنو اسرائيل في مصر .. فاننا مطالبون بأمر ديننا ان نلعن فرعون الوثني ، ونسلم على موسى نبي الله الذي انزلت عليه التوراة وعلى كل انبياء بني اسرائيل .. مطالبين بلعن بني اسرائيل الذين كذبوا فريقا منهم ، وقتلوا

(١) مدير تحرير مجلة « الطليعة » زوج بنت احد زعماء الحركة الصهيونية .. يهودي رأسمالي صودرت امواله في مصر !! ..

فريقا آخر من هؤلاء الأنبياء ..

وبالرغم من أن ديننا نبهنا الى التزييف الذي أحدثه اليهود بالتوراة ، وهي معجزة الهية تثبت الدلائل المتكشفة كل يوم صدقها .. الا أن ديننا قد نهانا عن اضطهاد اليهود لمجرد أنهم يهود ، وأذن لنا بقتالهم والضرب على أيديهم ان حاولوا الغدر بنا أو استعدوا لقتالنا أو اعتدوا علينا ..

ثم كلفنا بقتال من يضطهدهم لأنهم يهود .. وأفتى فقهاء الاسلام ان البلد الذي يضطهد بها ذمى (أي يهودي) تصبح ديار حرب .. أي يتحتم على المسلمين أن يقاتلوا حتى تكف عن اضطهاد اليهود .. أما عندما يضطهدنا نحن اليهود ، ويطرودتنا من بلادنا ، ويعيدون بعضنا باستمارات مطبوعة في اسرائيل .. فديننا يعدنا احدى الحسينيين : النصر او الشهادة .. ويأمرنا ان نضرب على أيديهم حتى يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فالعزة دائما للمسلمين .. لأنه بعزتهم تكون العزة للقيم والمثل الانسانية ..

وطالما كانت حضارة المسلمين هي الغالبة والمزدهرة ، لم يقع اضطهاد ديني واحد وليس في تاريخنا كله حركة شعارها « اقتلوا اليهود » ..

ان اضطهاد اليهود وتشريدهم قد وقع قبل ظهور الاسلام .. ثم كانت فترة اندماجهم الوحيدة في الحضارة السائدة ، هي فترة اندماجهم في الحضارة الاسلامية ، ثم بدأت أول حركة للاضطهاد الجماعي من جديد في اوروبا ومع بداية الحروب الصليبية .. فالابادة الشاملة بنزول الهلال من سماء الأندلس .. ومع أفول نجم الحضارة الاسلامية وتراجعها الى ظلام التخلف ومؤخرة العالم .. وبزوغ نجم الحضارة الغربية بدأت المشكلة اليهودية ، وظهر بوضوح انفصال اليهودي عن المجتمعات التي يعيش فيها .

واليهود أنفسهم يعترفون بذلك .. جاء في كتاب « في الفكر اليهودي » :
« في طبريا المدينة الصغيرة ، الممتدة على شاطئ البحر الميت ، جلس العازار الشيخ اليهودي بين أفراد أسرته ، استعدادا للاحتفال بعيد الفصح .
كان ذلك في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٠٨٩ ..

اسرعوا جميعا الى النافذة ، ولا غرابة ، فقد كانت الاضطرابات سائدة في البلاد وبعد ان تحققوا من عدم وجود انسان في الحديقة ، عاد كل الى مكانه ، حول المائدة استطرد العازار قائلا : « تكلم يا يعقوب » •

استهل يعقوب حديثه قائلا : « انني قادم من انطاكية ، حيث حاصر الصليبيون كربغا ، امير الموصل • لقد انتشرت المجاعة بينهم ، فكادت تبيدهم ، وبعد أن كانوا ثلاثمائة الف ، لم يبق منهم سوى عشرين الفا » ••

استفسر الوالد : « ترى هل يريدون شيئا من هنا » •• أجاب يعقوب : اثناء مجيئي في الطريق كان المارة يتحدثون عن موقعة جديدة ، انتصر فيها الصليبيون ، ويقال انهم سيزحفون على القدس الشريفة مباشرة » وجم الوالد وقال : « عسى الا يحضروا » •

فأجاب يعقوب « لا أظنهم فاعلين ، فهم يجهلون الطريق ، اللهم الا اذا كان هناك جواسيس خونة » ••

استطرد الوالد قائلا : « ان المسيحيين في ضلال ومذهبهم هراء • ويعتقدون ان المسيح قد جاء في حين ان العالم كالجحيم ، والانسان كالشيطان الرجيم والحالة تسير من سيء الى أسوأ » ••

وفي تلك اللحظة ، فتح الباب فجأة فظهر على العتبة ، رجل قصير القامة ، نحيف كالهيكل العظمي ، براق العينين هو بطرس الناسك • كانت ملابسه عبارة عن اسمال ممزقة وكان يحمل صليبا بين يديه ، وقد زين كتفه بشارة حمراء على شكل صليب •

سألهم : هل أنتم مسيحيون ؟ ••
أجاب العازار : « كلا ! نحن من بني اسرائيل » فاتتهرهم بطرس قائلا : « اخرجوا معي ! هيا الى البحيرة لأعمدكم • والا فستموتون أشنع ميتة ! » ورفض العازار ••

وخرج الناسك الى رجاله ، بينما كان أفراد عائلة العازار يغلقون نوافذ المنزل وأبوابه من الداخل • وعلى حين غرة سمعوا صوتا يقول : « اضمروا

النار في المنزل» قال العازار : « لنشكر الله ولنمت » فأمن الجميع على كلامه، بلا تردد ، اما الوالدة فقد حملت ابنها الصغير بين ذراعيها عسى ان تقيه من النيران ، التي أخذت تلتهم الجدران » .

وكتاب «في الفكر اليهودي» هذا .. جمعه حاخام الامبراطورية البريطانية وترجمه الى العربية ونشره في الثلاثينيات رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة المصرية دكتور الفريد يلوز ..

وقدمه حاخام مصر وأثنى عليه .. وطبع في دار « مجلتي » للطبع والنشر وهو اذا كان يوضح كيف ان اليهود قد استظلوا بحماية السلطة الاسلامية واضطهدوا من الغزو الصليبي . فهو يوضح ايضا ان اليهود كانوا يطبعون كتباً يسبون فيها المسيحيين ، ويشيدون ببطولتهم .. وتطبع في مصر بغير احتجاج !!

ومن نفس الكتاب :

« في سنة ١١٤٦ ، أصيبت الطوائف الاسرائيلية بحملات مفرقة ، فقد حدث أن الراهب رودولف الذي اضطهد اسرائيل اضطهادا معيبا ، هاجم شعب الله المختار ، وأراد ، مثل هامان في الأزمنة الماضية . اهلاك و قتل و اباده جميع اليهود . قام هذا الراهب برحلة في كل البلاد الجرمانية مهديا وسام الصليبيين الى جميع الذين يتطوعون في الجيش الزاحف الى اورشليم لمحاربة المسلمين . وكان حيثما نزل ، يثير شعور الجناهير قائلا : « عليكم ان توجهوا انتقامكم الالهي أولا ، نحو أعداء الهنا الموجودين أمامنا ، ثم لنسر الى الأمام بعد ذلك » عندما سمع اليهود هذه الأقوال ، تزعزعت شجاعتهم ، لعلمهم بعنف الطاغية ونيته المبيتة على أبادتهم . فرفعوا أصواتهم الى الله قائلين : « أواه يا رب يا الهنا ! هوذا خمسون عاما انقضت أو كادت ، منذ أن هرقنا دماءنا كالماء لتقديس اسمك المبارك العظيم ، الموقر ، يوم المذبحة الكبرى فكأننا نحتفل الآن بيوبيله » .. ثم دفع اليهود رشوة الى راهب آخر فتوسط لهم .. « يرجع اضطهاد العنصر اليهودي الى فجر العهد الذي تسلمت فيه

المسيحية ادارة الشؤون المدنية • اذ ظلت كراهية اليهود لعدة قرون رمزا من رموز الصلاح والتقوى عند المسيحيين ••

لقد هاجمهم جميع الأمم المسيحية ، فأشبعتهم شتما وامتهانا ، واحتقارا وسلبا ونهبا ، ولقد طردهم من انجلترا ادوارد الأول • ومن فرنسا شارل السادس فلم يجدوا ملجأ الا الأندلس ، حيث أحاطهم أمراء الاسلام بعطف خاص (والمرجع اليهودي المتعصب يرجع هذا العطف الى عقيدة اليهود ، لا الى عقيدة المسلمين ، ويهاجم عقيدة الكاثوليك) ••

ثم يقول في تعصب وادعاء فارغ « وكان للعلوم اليهودية والعبرية الاسرائيلية القدح الملعى في اشراق تلك المدينة التي بزغت في طليطلة وقرطبة ، واجتلت نورها العقائد باوروبا (لم يكن لليهود من علم وقتها الا التلمود ، وثابت ان الديانة اليهودية ذاتها تأثرت بتعاليم الاسلام) ولكن في ساعة نحس وشؤم اكتسح الصليب الهلال واحتل مكانه على قمة الحمراء ، فهدم هذا الملاذ الوحيد ، وخفت مصباح التسامح الديني في اسبانيا ، اذ تقرر اخراج اليهود منها ••

صدر هذا الأمر بفعل نور كامادا • لكن السبب غير المباشر راجع الى التعصب ، الذي أخذ يشتد يوما بعد يوم ، حتى أصبحت حياة العنصرين معا ، من الأمور المستحيلة ، ففي سنة ١٣٩٠ ، أي نحو مائة سنة قبل فتح غرناطة ، القي واعظ معروف يدعى هرنا ندومارتيينز خطبة مثيرة هاج لسماعها الكاثوليك باشيلية ، فهاجموا حي اليهود ، وقتلوا منهم ٤٠٠٠ نفس ، كان مارتينيز يشرف بنفسه على المذبحة •• وفي العام التالي وقعت حوادث مماثلة في بلنسية ، وقرطبة ، والبرج ، وطليطة ، وبرشلونة ، جلها بتحريض الواعظ ذاته • واخيرا وقعت حرب الأندلس ، التي كانت تعتبر حربا صليبية ، وأخذت تسير في طريق النهاية ، فأذكت حمية الدين عند المسيحيين الاسبان مما أدى الى انشاء محاكم التفتيش • ذبح عدد من اليهود الذين اعتنقوا المسيحية •• وما تجدر ملاحظته أن التاريخ قلما ذكر تدابير أدت الى مثل هذه

النكبات الفادحة .. ففي أقل من ثلاثة شهور أرغم جميع اليهود الذين لم
يعتنقوا المسيحية ، على مغادرة البلاد الأسبانية والا حكم عليهم بالاعدام ..
فالفترة الوحيدة التي نجا فيها اليهود من الاضطهاد منذ هدم الهيكل
الى الثورة الفرنسية هي فترة ازدهار الحضارة العربية ، وبحمية السيوف
الاسلامية ، فلا تحدثونا عن ضرورة التسامح فنحن الذين علمناه للعالم ..
فليكف الصاخبون عن ازعاجنا ، بتحذيرنا من عداوة السامية ، فنحن
ساميون ونحن مسلمون .. ديننا يرفض أن نكره الناس على الايمان بالله ..
ديننا يرفض أن نجبر الناس على الدخول في أمتنا ، لأن ارادة الله هي التي
اقتضت ألا يكون الناس أمة واحدة .. ديننا يرفض أن نضطهد انسانا بسبب
لونه أو جنسه أو دينه ، بل ربما كانت نقطة الضعف في حضارتنا هي تسامحها
الديني .. فان هذا التسامح بما فيه من نبل ، يحتم علينا أن نكون « أولى
بأس شديد » لأن الفضيلة التي بلا سند من القوة يحميها تنقلب الى ضعف
يودي بصاحبها .. والقيم كل متكامل .. لا تستطيع أن تمارس جانبا منها
دون الجوانب الأخرى .. خاصة في عالم ما زالت تسوده روح صليبية
شرسة ...

وليست كراهية اليهودي ، ولا كراهية بعض اليهود .. ولا حتى كراهية
كل اليهود تعني عداة السامية .. فعداة السامية يعني كراهية كل اليهود ..
وكل الوقت ، وهي وان كانت موقفا سياسيا يتخذ في مرحلة معينة ، الا أنه
يتطلب تكويننا دينيا وحضاريا ونفسيا ، وتراثا عميقا من الكراهية لدى
الجماهير حتى يمكن للحركة السياسية أن تمارسه . وليس مجرد مصادفة
انه لم يمكن قط خلق حركة عامة معادية للسامية في الشرق ، بينما أمكن
قيام هذه الحركة في فرنسا حتى القرن العشرين (دريفوس . ثم خلال الحكم
النازي) وفي روسيا القيصرية حتى مطلع القرن العشرين .. بل وفي المانيا
خلال العقد الثالث والرابع من القرن العشرين .. حيث كانت الحضارة الغربية
قد وصلت الى قمة ازدهارها ، وحيث شهدت أوروبا الغربية تطبيق الديمقراطية

وحرية العقيدة في أكمل صورها ..

وإذا كانت هذه الموجات من العنصرية المعادية لليهودية ، قد حركت واشتثرت لأسباب سياسية ، فان قدرة المهيمنين على تحريكها لخدمة أهدافهم، تقترض وجود استعداد للاستشارة عند الجماهير ، استعداد متوارث عبر أجيال عديدة ، وخلال عقيدة موروثه قابلة دائما للتحرك ضد اليهود ..

وبالنسبة لنا نحن العرب فان هذه العوامل غير متوافرة ، وما زلنا نحاول أن نتعلم كراهية اليهود على ضوء النابالم والابادة الشاملة والمذلة التي لم يتعرض لها شعب منذ اباداة الهنود الحمر ..

ان الخلط بين اليهودي والصهيوني في الكتابات العربية لا تأتي شبهته في الغالب الا من خلال الرد على الذين يثيرون هذا الموضوع ويلحون من غير مبرر على ضرورة التفرقة .. فلم تشهد بلادنا مذابح لليهود .. ولم تناد كتاباتنا بقتل اليهود .. فكأنهم بكتاباتهم يتسببون في عكس ما يزعمون انهم يهدفون اليه (١) .

(١) هل تملك اسرائيل وثيقة ضدنا تستشهد بها على اننا عنصريون نضطهد يهود العالم اجمع ، ونخلط بين اليهودية والصهيونية ، هل تملك وثيقة أقوى من مقال في « الطليعة » يعلن : « ان بعض اصحاب المسؤولية في الاجهزة التنفيذية او الشعبية يخلطون بين الصهيونية وبين الديانة اليهودية . » وان هذا « الخلط متعمدا » وان الامر وصل الى حد « لا يمكن السكوت عليه » وان هؤلاء المسؤولين « في الاجهزة التنفيذية او الشعبية يلجأون الى ادلة وهمية وعنصرية ضد اليهود كيهود وليس ضد اليهود كصهيونيين » (مقال فيليب جلاب « الطليعة » اغسطس ١٩٦٧) . هل تملك اسرائيل دليلا أقوى من هذا تستخدم اجهزة دعائها ، شهادة مجلة مصرية طبعت في القاهرة . لا بد ان الامر قد تفاقم الى حد ان تسمح الرقابة بنشر هذه الاستفائة !.. اليس كذلك؟! ..

وهل يفيدنا ان يقال ان الشيوعيين يعارضون ذلك ؟.. ومن قال ان الشيوعيين يوجهون سياسة مصر ؟ ان القضية توضع امام الراي العام العالمي - وللأسف باقلام مصرية - على هذا النحو : بعض المسؤولين في الاجهزة التنفيذية والشعبية في مصر يمارسون سياسة عنصرية عن عمد ولكن بعض الشيوعيين يعارضون ذلك .. هل نكسب عالميا بذلك .. اسألوا الذين كتبوا والذين نشروا ! ..

فما الهدف الذي ترمي اليه الدعوات الملحة لضرورة التمييز .. اذ لا بد لكل دعوة من هدف ، فالمبادئ لا تطلق في الفراغ ، بل تلقى مسؤوليات على المؤمنين بها .. ولا بد أن هؤلاء « الشجعان (١) » الذين استطاعوا ان يجابهوا شعوبهم العربية ، وقتلاهم لم يدفنوا بعد ، وجرحاهم لم يشفوا من النابالم اليهودي ، جابهوا شعوبهم محذرين من التعصب ، منبهين لخطأ « الخلط بين اليهود والصهيونية » (٢) .

لا بد أنهم يطالبون الجماهير بعد الاقتناع بهذه الحقيقة « العلمية » بموقف عملي .. فلا خير في علم بلا عمل ! ..

ولا يبدو أن الموقف المطلوب ، منصب على اجراء داخلي ، لأن اليهود في المشرق العربي ، وبالذات في مصر لا يشكلون حتى أقلية يخشى من اضطهادها ، هم مجرد أفراد لا يكاد يحس بهم .. ومن المؤكد أنهم لا يعانون أي اضطهاد (٣) ..

(١) حقيقة لا شجاعة في موقفهم .. بل خصومهم هم الذين يتحلون بقسط كبير من الشجاعة للدفاع عن رأيهم .. ولعل ذلك واضح .. بل لنزيد الامر وضوحا .. كتب « فيليب » في مجلة « الطليعة » بالقاهرة يطالب بمحاسبة وتسريح بعض اصحاب المسئولية في الاجهزة الشعبية لانهم يخلطون بين اليهود والصهيونية وبلجأون الى أدلة وهمية وعنصرية ضد اليهود كيهود كما جاء في كتاب بروتوكولات حكماء صهيون « الطليعة » ايلول ١٩٦٧ ولاننا في مرحلة تحتم ان نضع النقط فوق الحروف حتى يعرف كل مواقع اقدامه .. نقول ان المسئول الوحيد في الاجهزة الشعبية الذي طبع بروتوكولات صهيون هو السيد « شوقي عبد الناصر » !

فعندما يطالب فيليب بمحاسبة وفصل شوقي عبد الناصر لأن شوقي عبد الناصر يهاجم اليهود ! وينشر هذا في صحف القاهرة .. فلا بد أن قوى رهيبة تلقي بثقلها في هذه القضية .. ويكفي هذا ..

(٢) عنوان مقال بآخر ساعة ١٩٦٧/٨/٣٠ .

(٣) دليل وجود عدد منهم في مخادع بعض المتصددين للفكر والتوجيه . أحدهم أعاد طبع كتاب في النصف الثاني من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ عن امريكا والشرق الاوسط ، فلم يجد ما يضيفه الى الكتاب الا فصلا عن الحلف الاسلامي !!

وبعضهم يمثل مصر في المؤتمرات الدولية ..
وبعضهم يعمل في دور الصحف ويتقاضى مرتبا أكبر مما يتقاضاه بعض المناضلين ضد اسرائيل ..

ويقال ان الهدف من هذه الكتابات هو دعائتنا في الخارج .. كذب ..
ان هذه الكتابات - كما قلنا - تنبه الى وجود الخلط أكثر مما توضح اننا
نميز بين اليهودية والصهيونية .. ان كانت هذه الكتابات تقرأ في الخارج ..
أو ان كان الرأى العام العالمي يعادينا حقا ، لأننا نغادي اليهود .. (١)

الهدف الحقيقي من الالاحاح الغريب على التفرقة بين اليهودي
والصهيوني .. هو التمهيد لصلح مع اليهود غير الصهيونيين « المليونين
ونصف المليون يهودي عامة والعمال والفلاحين خاصة المستغلين داخل النظام
الاسرائيلي » (٢) ..

والذين بدأوا في زراعة مستعمرات جديدة في الأراضي السورية
والأردنية .. وعلى شاطئ البردويل .. يا عارنا !

هذه التفرقة بين اليهودي والصهيوني ، ليست مهمتنا نحن بقدر ما هي
مسئولية اليهود ، فان المواقف التي يتخذها اليهود ضد اسرائيل هي التي

(١) وحتى لو صح ذلك .. وفرضنا ان الرأى العام يعادينا لان بعض الذين
انتزعوا من وطنهم ونبشت قبور اسلافهم ، وقتل اولادهم امام عيونهم
وبقرت بطون زوجاتهم الحوامل تحت سمعهم وبصرهم .. بعض هؤلاء
يعلنون بعض التصريحات العنيفة بين الحين والحين .. حتى لو سلمنا
ان هذا هو سر عداء الغرب الصليبي لنا . مع ان هناك في اسرائيل من
يطلب بابادة العرب ، من وقف في شوارع نيويورك يفري الامريكيين
بالتبرع تحت شعار « ادفع دولارا تقتل عربيا » باعتبار قتل العربي
هدفا يستحق ان يتبرع المرء من اجله ..

وبالرغم من ان هناك في اسرائيل من يطالبون بدولة من النيل
الى الفرات ومن يعتبر الانسحاب من القنطرة والقنيطرة خطيئة دينية ..
ومع ذلك لا يفضب الرأى العام العالمي الا من الذين يطالبون بعروبة
بلادهم التي كانت دائما وابدا عربية .. حتى لو سلمنا بذلك فهل حقا
تصدر هذه الصيحات عندنا حرصا على نقاوة الدعاية العربية .. ابدا ففي
حوار مع احدهم سألته سؤالا صريحا .. قلت ها نحن وحدنا ولا رأى
عام يسمعنا .. هل توافق على استرداد فلسطين كاملة بحدودها ١٩١٧ .
وعربية كما كانت دائما .. قال « لا » قلت اذن لا تغلف اراءك المؤيدة
لوجود اسرائيل بستار من الحرص على كسب الرأى العام العالمي والرغبة
في خلق انقسام بين اليهود !!
(٢) « لظفي الخولي » الاهرام ..

ستساعد على خلق هذه التفرقة .. لا أن نفتش نحن بمجهر عن شبه موقف
ثم تتصايح .. انظروا ها هو يهودي يعادي الصهيونية ، بل يصل الأمر الى
حد امتهان الجماهير العربية بنسبة بعض الكتاب الى اليهودية لمجرد اثبات
أنهم يعادون سياسة اسرائيل وبالتالي فلا مبرر لعداء اليهود .. وبالتالي فمن
الممكن فتح حوار مع اليهود (١) ..

وأين يمكن ان نفتش نحن عن اليهودي غير الصهيوني ما دما قد كلفنا
بهذه المهمة ونحن نقاتل جيش احتلال اسرائيل فوق أرضنا وداخل مساجدنا! ..
هل سمعنا بموقف واحد ليهودي أو يهودية عربية حتى من الذين
يعاشرون بعض قادة الحملة ضد التشويه والخلط بين اليهودي والصهيوني ..
لا .. ولا كلمة .. يهود ويهوديات شمال افريقيا اطلقوا النار والقين
الماء الساخن على العرب ايام العدوان! ..

هل يمكن ان نفتش عن اليهودي غير الصهيوني في مكان أفضل من
المعسكر الاشتراكي؟ ..

فهناك التربية ضد العنصرية (المفروض) وضد الأديان ، وهناك الايمان
بالماركسية وبالتفسير الطبقي للأحداث .. والايمان بأن اخوة الطبقة العاملة
فوق الدين والجنس واللون ... الخ .

فهل وجدنا اليهودي غير الصهيوني هناك .. حتى الآن يبدو ذلك
واضحا ، ولكننا وجدنا اليهودي الصهيوني .. في بولندا وتشيكوسلوفاكيا -

(١) كما هو الحال مع مكسيم رودنسون . الذي قال هو شخصيا انه يعتبر
يهوديا بالمنطق النازي الذي يحاسب الاحفاد على اعتناق اجدادهم
لل يهودية .. ورغم ذلك اصرت كل الصحف التقدمية في مصر ولبنان
(الحرية) على تقديمه لقرائها باعتباره يهوديا يدافع عن العرب ويدين
عدوان اسرائيل .. لمصلحة من يزيغ هؤلاء الحقيقة على العرب وينسبون
لليهود موقفا زائفا لم يتخذه يهودي بعد . ان لنا الف تحفظ على دعوة
رودنسون نفسه .. غير ان نسبة آراء رودنسون لليهود ، كنسبة آراء
هؤلاء الذين تناقشهم للمسلمين .. ولو ان رودنسون اصرح اذ يتبرأ من
اليهودية .

كما نشرت الصحف وأذاعه رئيس الحكومة - كان اليهود يشربون الأناجيب
.. نخب النصر .. لجيش اسراييل وهو يلقي النابالم على الشيوخ والنساء
والأطفال .. في العريش وغزة والقدس و نابلس والقنيطرة .. كان الملاحدة ،
الشيوعيون ، اليهود ، في بولندا وتشيكوسلوفاكيا يشربون نخب النصر
وحاخام الجيش الاسرائيلي يصلي في المسجد الأقصى ..
ثم نطالب نحن بالترفة بين اليهودي والصهيوني .. وقادة سلاح
الطيران البولندي و جنرالات الجيش البولندي اليهود ، لم يفرقوا ، حتى
اضطرت الحكومة الى فصلهم ..

وتنشأ أزمة في بولندا وتشيكوسلوفاكيا بسبب موقف اليهود فيهما ،
وتحذرهم الحكومة هناك بأن ولاء البولندي يجب أن يكون لبولندا ،
والتشيكي لتشيكوسلوفاكيا .. وتعاني معظم الأحزاب الشيوعية في اوروبا
أزمة بسبب موقف أعضائها اليهود الذين اعترضوا على موقف الاتحاد
السوفياتي ازاء اسراييل ! ..

وفي الاتحاد السوفياتي ، تناقلت وكالات الأنباء ان أربعة من اليهود
أدانوا العدوان الصهيوني ! ..

رغم كل الوسائل التي يملكها النظام السوفيتي في الحصول على
التأييدات ، لم يستطع ان يحصل الا على تأييد أربعة أي واحد من كل مليون
يهودي !

لم نسمع كلمة واحدة من اليهودي ايليا اهرنبورغ قبل وفاته ضد
عدوان اسراييل .. وكانت ستكون لها قيمتها .. ولنشرت عندنا بالأبر على
آفاق البصر .

والذين دعوا كرافتشنكو لزيارة بلادنا ، واحتفلوا به على نسق احتفالهم بسارتر ، بل ولمقاربة احتفال سارتر لماذا لا يكتبون له اليوم يطلبون منه نصف سطر تأييدا لحقهم واستنكارا للعدوان .. وما داموا لم يفعلوا فليسمحوا لنا ان نعرف القراء بضيفهم الذي سهروا له الليل في القاهرة قبيل العدوان بأيام يستمعون لنكاته البذيئة وقصائده في مدح اليهود ..

(في شهر مايو من هذا العام زار القاهرة الشاعر الروسي الشاب « ايفتشنكو » بعد ان كان في بيروت مع أعضاء الوفد السوفيتي بمؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الذي عقد في نهاية شهر مارس ، وقد رجبت به الصحافة العربية ، وتحدثت عنه طويلا وتابعت أخباره وخطواته حتى أصبح وكأنه نجم سينمائي ..

وقبل سنة زار هذا الشاعر امريكا ورجبت به صحافتها هناك ، واهتمت به المجلات العالمية مثل « لايف » التي كتبت عنه مقالا في عشر صفحات « ومجلة باري ماتش » التي أصدرت بعد العدوان الاستعماري الأخير على الأمة العربية عددا خاصة عن اسرائيل على غلافه صورة « موشي ديان » هذه المجلة كتبت عن هذا الشاعر من قبل مقالا يقع في خمس عشرة صفحة .. وسر اهتمام صحافة الغرب الاستعمارية بهذا الشاعر هو ان له موقفا يتعاطف به مع اليهود ، ويدافع عنهم في العالم كله ، وفي عام ١٩٦٣ أصدر كتابين بالانجليزية والفرنسية يحتويان على مختارات من شعره وعلى غلاف كل منهما هذه العبارة : انه اجراً الناطقين باسم الجيل الجديد ، في روسيا ، انه أكثرهم تمردا على القيود ، ويكفي انه احتج في قصيدته الرائعة المعروفة على مذابح اليهود في « كييف » في روسيا . ويكفي انه أحس بعذاب اليهود في التاريخ والعالم ..

وفي نفس العام نشرت له مجلة « لايف » وعدد من المجلات الغربية قصيدة له يدافع فيها عن اليهود ، ويقول فيها أنا لست يهوديا ، غير اني أشعر

بشعور اليهود وبعذابهم ، ولذلك فأنا روسي أصيل .. ويقول أيضا « انني عريق كالشعب اليهودي بل كأني يهودي تائه في مصر القديمة ، يهودي أماتوني على الصليب ، ولا أزال أتحنس المسامير في قدمي (..) (١) .

مفهوم أن يهتم الصهاينة بشاعر وهب نفسه للدفاع عن اليهود .. ولكن غير مفهوم أن تهتم « دار الهلال » بهذا الشاعر وتحثي به كإنجازة ! ..

الا لأن اسرائيل لا تعنيهم ولا تشغل بالهم .. وهم لا يعادون اليهود ..

أين أذن ، نجد اليهودي غير الصهيوني .. فحتى في ظل حكومات تعارض العدوان الاسرائيلي ومن مصلحتها تشجيع مثل هذا التيار .. لم يقم قط مثل هذا التيار اليهودي المعادي للصهيونية أترانا نجده في بلاد يحكمها اليهود الصهيونيون ؟! ..

وإذا كنا نجد تيارا صهيونيا بين اليهود الشيوعيين في الأحزاب الشيوعية الكبرى أترانا نجد تيارا يهوديا غير صهيوني في الأحزاب الرأسمالية والاحتكارية ؟! ..

أين نجد اليهودي غير الصهيوني .. قولوا لنا .. سنتذرع بكل صبر ممكن حتى نجده معكم ..

ولكن أليس الأفضل أن نحدد أولا من هو الصهيوني .. حتى نعرف ان كان المليونان ونصف المليون الذين يعيشون في اسرائيل صهيونيين أم لا .. وحتى نحدد موقفنا من الذين أعلنوا جهارا ونهارا أنهم لا يعادون هؤلاء ؟! ..

(١) مجلة « اليقظة » الكويتية مقال : محبوب العبد الله ١٩٦٧/٨/٢١ .

من هو الصربي

متى ظهرت الصهيونية .. وعن ماذا تعبر ..؟
في القرن التاسع عشر كانت اوروبا قد أقرت سياسة المساواة السياسية والقانونية بين جميع الرعايا اليهود والمسيحيين داخل أوطانها .. وكان اليهود خلال سنوات النهضة الأوروبية ، قد استطاعوا استثمار الحروب الداخلية والخارجية في تمكين قبضتهم الاقتصادية والسيطرة على الاقتصاد البريطاني والفرنسي والتمتع بنفوذ عظيم في المانيا والولايات المتحدة .. والتغلغل في سائر بلدان اوروبا المندفعة في طريق الرأسمالية والاستعمار ..

وهنا نصل الى نقطة التناقض ، ففي هذا القرن بالذات ، بل وفي ذروة النفوذ اليهودي ، وذرورة تمتع اليهود بالمساواة .. بدأت بذور الحركة الصهيونية تنمو .. لأن الحركة الصهيونية هي تجسيد المقاومة اليهودية للاندماج .. فالدين اليهودي يحمل بذور الانعزال والعنصرية .. والتعالوي على الجنس البشري .. « شعب الله المختار » و « عميد الشعوب » ولكن هذه الانعزالية ، الاحتفاظ بالانفصال عن العالم ، يحتاج الى مبرر ، الى اقناع عند الفرد اليهودي ، بجعله يدرك كل يوم انه شيء وحده .. والعالم أو الأمم شيء آخر .. متعاديان ، متنافران .. ولم يكن هناك أقوى من الاضطهاد والمذابح حجة لدعاة العنصرية لتغذية احساس الانعزال ، وخلق شخصية اليهودي المنفصل عن العالم ، ودعوة هذا الفرد الى رفض الاندماج . ومع انتصار البورجوازية في اوروبا وسيطرة العناصر اليهودية على الاقتصاد الجديد ، ونجاحهم في اصدار التشريعات التي تحقق لهم المساواة

الكاملة ، أي فتح الطريق أمامهم لحكم أوروبا .. فوجئوا بانهيار « الجيتو »
« حارة اليهود » .. ولو لم تظهر الحركة الصهيونية في تلك الفترة لاختفت
المشكلة اليهودية من التاريخ ، على الأقل في غرب أوروبا وأمريكا .. باندماج
اليهود في شعوب هذه الدول .. وكان هذا الاندماج سيصبح الحل المقترح
لمشكلة اليهود في بقية دول العالم ..

ومن هنا تتبين زيف كل الادعاءات والتبريرات التي تحاول ان تصور
الحركة الصهيونية كرد فعل لاضطهاد اليهود .. بالعكس انها رد فعل لمحاولة
المجتمع العربي التخلص من ماضيه في اضطهاد اليهود .. انها مقاومة المتعصبين
اليهود لحركة الاندماج ..

البارون لونيلى دي روتشيلد ، الرجل الذي سرق منا أسهم قناة السويس
يقول قبل مولد الحركة الصهيونية بثلاثين سنة « اذا كانت الامتيازات
السياسية التي اكتسبناها ستضعف بأي وجه من الوجوه ، تعلقنا بشعورنا
اليهودي فنكون قد اشتريناها بثمن باهظ ، وهذا بلا شك احباط للأغراض
التي قصدنا من ساعدونا في سبيل الحصول عليها » وروتشيلد كما يقرر
كتاب « في الفكر اليهودي » الذي جمعه حاخام الامبراطورية البريطانية ،
« هو زعيم الطائفة اليهودية الانجليزية في عصره وأول يهودي دخل مجلس
العموم .. » وهو هنا يعرف أهداف المساواة السياسية التي عملوا من أجلها
.. انها كانت تهدف الى زيادة سيطرة « اليهود » على الحياة الاقتصادية ،
ولكنها ككل ظاهرة في التاريخ كانت تحمل نقيضها بداخلها ، فان تحقيق
المساواة وزوال الاضطهاد ينهي عقدة التعصب ، يحطم عنصر المقاومة ..
بزوال التحدي .. يعني ذوبان اليهود في المجتمعات الجديدة .. ومن هنا
يفزع روتشيلد ..

ويقول أحادها عام (١) : « ان المقصود هنا من كلمة الاندماج هو فقدان
الذاتية ، فهذا النوع من الاندماج ، مع ما يترتب عليه من النتائج ، هو الذي

(١) هو : آشير جينزبرج ١٨٥٦ - ١٩٢٧ .

أخشاه أكثر من المذابح والاضطهادات » •

« ان مسألة تحرير اليهود ، لا تشغل عندنا الا المركز الثاني ، اذ انها تمس مجرد أحوالنا الخارجية • هنالك غرض أسمى يتعين علينا ان ندركه ، وهو في متناول اليد : أن نعمل على رفع شأن نفوسنا ، حتى تتحقق اليهودية بواسطة اليهود (١) ••

لقد أجمع يهود العالم على أن قوميتنا اليهودية « المشتركة لن يكتسحها قصيرو النظر المتعصبون من دعاة الوطنية المحلية •• فجميعنا اذن صهيونيون ، بحكم ان الصهيونية هي التي تقوى فينا روح التضامن ، وتشعرنا بقوميتنا اليهودية المشتركة » (٢) •

« يجب أن نعود أولا الى الشعور اليهودي قبل أن نعود الى صهيون » (٣) ••

والشعور اليهودي هو ذلك الاحساس بالانفصال عن العالم •• هو رفض الاندماج ••

ولقد اجتمع في بال بسويسرا سنة ١٨٩٧ ، ثلاثمائة زعيم يهودي يمثلون خمسين جمعية يهودية ، أعلنوا انشاء الحركة الصهيونية •• أي أنه كان هناك بالفعل خمسون جمعية يهودية لديها الاحساس الصهيوني و ٣٠٠ زعيم يمثلون جماهير يهودية لديهم فكرة الصهيونية قبل تجسدها في حركة او تنظيم •• وهذه بديهية •• اذ ان التنظيم يعبر عن تيار موجود بالفعل ولا يمكن ان يفتعله ••

ومن هنا يمكن ان نعرف الصهيوني •• انه حتى مؤتمر بال ، كان ذلك اليهودي الذي يرفض الاندماج ، ويرى فيه خطرا أكبر من الاضطهاد والمذابح ••

(١) شمشون روفائيل هدش ١٨٣٦ •

(٢) ١. ابراهامس ١٩٠٥ •

(٣) تيودور هرتسل ١٨٩٧ •

فالصهيوني هو اليهودي المتعصب ليهوديته ، سواء آكان ذلك لدوافع دينية أو عنصرية لأن روتشيلد يستفيد من العصبية اليهودية في تنفيذ مشاريعه وخطه الاقتصادية •• وزوال الاحساس باليهودية زوال التعصب لها يجرّد رجل الدين من أرضيته ، كما يجرّد الرأسمالي اليهودي من عزوته •• ومن هنا كانت الحركة الصهيونية بهدف تعزيز الاحساس اليهودي وتنمية روح « الجيتو » داخل عقل اليهودي حتى وهو يجلس في بلاط سان جيمس ، ويدير سياسة فرنسا •• ويحرك الأحداث في الولايات المتحدة والمانيا ••

وبعد مؤتمر بال يمكن ان نعرف الصهيوني بأنه اليهودي الذي يرفض الاندماج ويعمل من أجل اقامة وطن قومي لليهود ، يؤكد هذا الانفصال ويكرسه فوق « جيتو » كبير • هو فلسطين العربية •• وأخطر هؤلاء الصهاينة هو الذي انفصل فعلا عن مجتمعه وهاجر الى فلسطين وانتزع الأرض العربية وأقام فوقها دولة اسرائيل عاملا أو فلاحا أو جنديا أو حاكما أو حاخاما ••

وحتى انعقاد مؤتمر بال في سويسرا لم نكن نحن العرب نشعر بأي عداة نحو اليهود ، بل كنا ندعم هذا الاندماج وتؤكدّه كما يأمرنا ديننا •• وفي برنامج الحزب الوطني الأول ، حزب عرابي ، تنص المادة الخامسة ، على ان « جميع المسلمين والنصارى واليهود ، وكل من يحرث أرض مصر ، ويتكلم بلغتها منضم اليه ، لأنه لا ينظر الى اختلاف المعتقدات ، وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب » •

بل حتى بعد اعلان الحركة الصهيونية وصدور وعد بلفور وبداية انتزاع الأرض ، لم نستطع خلق حركة معادية لليهود ، حايمم ناحوم أفندي يصبح عضوا في اللجنة التي وضعت الدستور الذي حكمت به مصر ثلاثين عاما !•• وحايمم ناحوم أفندي كان صهيونيا •• هذه هي الحقيقة رغم أنه عاش في مصر الى ما بعد قيام اسرائيل ••

ولم يتعرض له أحد ، وهو الذي قرظ كتاب « في الفكر اليهودي »
ووصفه بأنه « لؤلؤة جديدة » واعلن انه « يستقبله بسرور مزدوج وابتهاج
مضاعف » .. ستجد فيه الشبية اليهودية ، فتياها وفتياتها . شجاعة
تساعدنا في اقتحام مضمار الحياة ، والخروج ظافرة منتصرة من المعركة
« وهذا الكتاب هو انجيل الصهيونية ، طبع منه ، حتى عام ٣٨ تاريخ الطبعة
العربية ١١٥٠٠ نسخة ! .. وطبع منه حتى هذا التاريخ للجند والبحارة
اليهود ١٣ طبعة ..

وأحد أناشيده تقول :

مثل قصف الرعد الذي يشق لهيب السحب نصفين ..
سيدوي في آذاننا صوت صادر من صهيون .. ويناديننا قائلا : « يجب
أن تظل نفوسكم تواقا الى الأبد ، لأرض آبائكم وأجدادكم ..
حتى نتقذ من يد الأعداء نهرنا المقدس ..
وعندما نعود الى ضفاف الأردن سنحط رحالنا
فقسما باسمك المقدس ، لن نتصل من القتال
إذا ما دقت طبول الجهاد » ..

وهو الكتاب الذي يقول : « ان الحركة الصهيونية اليوم هي أعظم ،
بل أشهر حركة يعرفها التاريخ اليهودي » ..
طبع هذا في مصر ووزع ولم تنشب مذبحة يهودية .. ربما دل على
ضعف الحس العربي وقتها ، وعلى سيطرة الصهيونية على الحياة .. غير
انه يدل أيضا على وجود الشعور الصهيوني لدى جميع اليهود بما فيهم يهود
البلاد العربية التي لم تعرف اضطهاد اليهود ولا عداء السامية ..
غير أننا يجب أن نضع تحفظا هنا .. فحتى قيام اسرائيل في ١٩٤٨ ..
لم يكن كل اليهود يؤيدون فكرة قيامها الآن .. لا عن ايمان بحق العرب ،
بل لتخوفهم من نتائج قيام هذه الدولة ، بل أساسا لاعتناع هؤلاء باستحالة
قيام الدولة واستبعادهم امكانية فرضها على ٧ دول عربية ، كانت تعلن

ليل نهار أنها لن تسمح بقيام اسرائيل .. ولهؤلاء كان ويزمان يقول :
« أعطونا نصف فرصة وسنثبت لكم أن كل ما يقال عن تضامن العرب ووحدة
العرب وقوة العرب هو حديث خرافة » ..

فالصهيوني من ١٩١٧ الى ١٩٤٨ هو الذي يؤيد قيام الوطن القومي
لل يهود في فلسطين .. وفي طليعة هؤلاء الصهيونيين الذين هاجروا فعلا الى
فلسطين وانتزعوا أرضنا ، وقتلوا شعبنا وأقاموا دولة اسرائيل ..
فاسرائيل كلها كيان صهيوني كل فرد فيه ، العمال والفلاحون ، الطلبة ،
الجنود ، الفقراء والأغنياء الحاكمون والمحكومين ..

هذه بديهية يجب الا نختلف فيها .. فليس في اسرائيل بالنسبة لنا ،
شعب وحكومة ولا يمين ويسار .. ولا كادحون وأغنياء .. كلهم كتيبة
الصدام للحركة الصهيونية . كلهم اعداءنا .. اما نحن أو هم (١) .

وشعار ازالة اسرائيل يجب ان نصر عليه اليوم أكثر من أي وقت مضى ،
وليقول الحكماء العقلاء ما يدور في قلوبهم بصراحة .. بدلا من الزعم انه ليس
تكتيكا ان نعلنه اليوم ، لأن الاعداء والأصدقاء لا يقبلون .. ليكن ..
حتى ولو رفضه الأصدقاء ، حتى ولو أثار الأعداء .. لانه الحق ، ولانه
العدل ، ولانه الحل العلمي الانساني لمشكلة اليهود .. ف طالما ظلت اسرائيل
فستظل عملية اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية مستحيلة .. فمن أجل تحرير
اليهود .. يجب أن نزيل اسرائيل ..

وازالة اسرائيل هي الصيغة التي تضعها الدعاية الصهيونية ، فيجب
الا نشهرها نحن في وجه آمالنا .. فالصيغة السليمة هي استرداد فلسطين ..
استعادة عروبة فلسطين .. فهل ثمة شك في ذلك ؟ ..

(١) اسرائيل تعرف الصهيوني بانه اليهودي الذي يقيم في اسرائيل او الذي
يستعد للهجرة اليها . (محمود عطا الله اهرام ١٩٦٧/٩/٢٦) .

قولوا بصراحة .. هل تخليتكم عن فلسطين .. لا تزعموا ان ذلك يقوي موقفكم عالميا ، بالعكس انه يقضي على كل شرعية لتصرفاتكم بعد ذلك ..
فما دتم قد سلمتم بقيام اسرائيل ووجودها ، فلماذا تزعمون العالم باصراركم على حربها وبأي حق تفتحون صدوركم وأرضكم لمن يمارسون نشاطا تدميريا ضدها ! .. وبأي حق تطاردون المتعاملين معها ، وترفضون مرورها في المياه والخلجان .. وترفضون الجلوس معها على مائدة المفاوضات لحل مشاكلكم المعقدة ؟ ..

ان كل هذه المواقف تستمد شرعيتها من موقفنا الأساسي من اسرائيل .. فنحن شعب ترتكب ضده جريمة لم تعرف في التاريخ الا في حالة الهنود الحمر ! .. بل هي أبشع من وجوه كثيرة .. شعب انتزعت أرضه ، وقتل رجاله ، وشردت أطفاله وشيوخه .. وأقام آخرون بالقوة وحدها ، فوق هذه الأرض .. زرعوا وبنوا .. فكيف نسلم بذلك .. وأي منطق يقبل هذا .. وأي عدل يرتضيه .. وأي حر لا يرفضه ..

والتسليم بوجود اسرائيل في حدود ٤ يونيو أو أي حدود يعني التسليم بغير حد فما الفرق بين العريش وعكا ؟ .. عشرون عاما من الاحتلال .. أهذه وحدها تجعلنا معتدلين عندما نستعد للموت في سبيل العريش ، ومتطرفين ومتعصبين أمام الرأي العام العالمي الحر عندما نطالب بعكا ؟ ! ..

ان عكا أعز علينا وأعرق في تاريخنا من الكوتلتلا .. وسيياد العرب ، كل العرب ، ولن يفرطوا في حبة رمل من الكوتلتلا ..

وما هو دور منظمة التحرير ، بل ما هو مبرر وجود شعب فلسطين .. ان لم تكن عروبة فلسطين .. أي ازالة اسرائيل وعودة الأرض لأصحابها ..

ثم نعود لحديث التفرقة بين اليهودي والصهيوني .. بعد قيام
اسرائيل ..

ما الذي حدث في الشعور اليهودي بعد قيام اسرائيل؟ ..
نستطيع أن نقول بكل ثقة : ان الصهيونية قد أخضعت لنفوذها الغالبية
العظمى من اليهود .. وان كل يهود العالم يؤيدون بقاء اسرائيل ، واستمرار
اسرائيل ، ونجاح اسرائيل ..

ولم يقدم لنا حتى الآن رغم كل التقريع والتأنيب الذي ينهال علينا لأننا
نخلط بين اليهودية والصهيونية ، نص واحد لليهودي يدعو لازالة اسرائيل ..
فاما أن نسلم بأن كل اليهود يتخذون موقفا صهيونيا بتأييدهم استمرار
اسرائيل أو أن نعترف بأن تأييد وجود اسرائيل ليس موقفا صهيونيا !
ويبدو أن هذا رأيهم .. ومنذ أن نشر « المصور » مقالته التي دعا فيها
الى نبذ شعار تدمير اسرائيل تلققت الصحافة العالمية هذه الدعوة للتدليل
بها على ان هناك أصواتا عاقلة بدأت ترتفع (١) .. وتتابع الصوت العاقل
يدعونا للتحاور .. فتحت عنوان ضخم يبشرنا بظهور جمعية للطلبة اليهود

(١) كتبت « الوشنطن ايفننج ستار » لقد تحدثنا من حين لآخر عن مقدره
المصريين الفائقة في خداع النفس .. لهذا يجب ان نشير الى ان احدي
الشخصيات الكبيرة في الجمهورية العربية المتحدة قد خرج على الشعارات
والاكاذيب والوعود الجوفاء .. فقد كتب السيد احمد بهاء الدين ،
وهو من كبار المعلقين الصحفيين ، كتب في مجلة « المصور » التي تسيطر
عليها الحكومة مؤخرًا ، ووجه كلامه الى الشعارات العربية الخاصة بمحو
اسرائيل من الخريطة .. وقال في مقال رائع يحمل في طياته معاني
مضمونها ، ان المصريين غير واقعيين في تقدير امكانية القضاء على اسرائيل
.. وان مثل هذا التعبير العلني لرأى معقول ، لا بد وان يعني احد امرين .
اما انه سيتم تعيين رئيس تحرير جديد للمصور أو ان الجهل الطويل الذي
خيم على مصر أخذ يتبدد (امام فجر لا زال بعيدا) وشنطن ايفننج ستار
١٩٦٧/٧/٩ ..

وكتبت هارتس الصادرة في تل ابيب بعد اغراق ايلات تقول :
« ان الصيحات التي ترددت اخيرا في القاهرة عن فتح صفحة جديدة في
العلاقات مع اسرائيل اتضح انها مزيفة بعد اغراق ايلات » ١٩٦٧/١٠/٢٤

المعادين للصهيونية .. وان القائمين عليها قد « تفضلوا فأرسلوا لي بعض نشراتهم وندواتهم ومطبوعاتهم » ..

« وهذه الجمعيات تتفق في شيء أساسي هو رفض الأفكار الصهيونية الثابتة التي غرستها الدعاية الاسرائيلية غرسا في العقل الأوروبي .. ورفض سياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية واداتها بالعدوان ورفض الفلسفة الصهيونية كفلسفة عنصرية .. ورفض دولة اسرائيل بوضعها السياسي الراهن ، أي كراس حربية غربية (بعكس شرقية) في جسد الشرق الأوسط العربي ..

ورأيي ان « هذه كلها تكون أرض حوار والتقاء خصبة ، تعطينا فرصة ضخمة للحركة ، وليس عندي بعد ذلك سوى أن أقدم مقتطفات من نماذج الكتابات الواردة في بعض هذه النشرات بما لها وما عليها » . وبدأ بهذه النشرة « بيان لجنة الطلبة اليهود المعادين للصهيونية يقول بالحرف الواحد (« بالحرف الواحد » من كلمات « المصور » وهي تعني أن الكلام هام جدا وأكبر من أن يصدق ويحتمل الشك لتفوقه على المعقول !) .

« تم تكوين لجنة للطلبة اليهود المعادين للصهيونية في فرنسا وعنوانها المؤقت هو « سالومون اسيدوا ٢٧ شارع فينيون » وقد تكونت اللجنة على أساس المبادئ التالية :

- ١ - ان الصهيونية لا تقدم الا حلا وهميا لمشكلة معاداة السامية .
- ٢ - ان الصهيونية لكي تحقق غرضها في اقامة دولة يهودية قد وضعت نفسها في خدمة القوى الاستعمارية ، والسياسة العدوانية الراهنة لدولة اسرائيل ليست الا جزءا من مخطط هذه القوى .
- ٣ - ان انشاء دولة يهودية قد حرم الشعب الفلسطيني من حقوقه .
- ٤ - انه يجب الاعتراف في نفس الوقت بالحقوق القومية لوطن يهودي فلسطين (العبارة وردت هكذا وربما تكون في فلسطين وسقطت « في » .. أو مقصود بها يهودي فلسطين مضاف ومضاف اليه ..

فيحتاج معناها لنقاش طويل .. وتبدو كلمة « لوطن » لا معنى لها
ولا موضع في الجملة .. لذلك سنناقش الفرض الأول « الحقوق القومية
لوطن يهودي في فلسطين » ..

ونحن نطالب زملاءنا التقدميين العرب بطرح أفكارهم في هذا المجال ..
ويقول « المصور » انه قد ظهر رجال شجعان من أمثال الزعيم
الاشتراكي الوزير السابق أندريه فيليب .. ويقدم لنا رأى فيليب الشجاع
هذا ..

« منذ عشرين سنة كان أمل العرب تدمير اسرائيل كدولة على أن يحل
محلها مجتمع مسلم مسيحي يهودي على الطراز اللبناني » ..

ولكن تحقيق هذا الهدف أصبح متأخرا ، فقد أصبح لاسرائيل
مؤسسات وصناعات ومجتمع حي .. والغاء هذا معناه آلام جديدة هائلة ..
بل انه ليس من مصلحة العرب ان يعيشوا في مجتمع مختلط مع الاسرائيليين
بتفوقهم التكنيكي والمادي الذي سيجعلهم بمثابة أرباب عمل والعرب أجراء
(واضح ماذا يقصد .. ليس من مصلحة اللاجئين العرب العودة لاسرائيل)
« يجب ان تحل نهائيا مشكلة اللاجئين التي تعد عارا على الضمير
الانساني .. والحل هو خلق دولة فلسطينية ، سواء مستقلة أو مرتبطة
بالاردن مع ايجاد ممر بين الاردن وغزة تنازل عنه اسرائيل طبقا لمشروعات
سنة ١٩٤٨ » (١) ..

ما الشجاعة في مثل هذا الرأى ؟ ..
ان كان ثمة شجاعة فهي في نشره بالعربية ..
ان الشجاع فيليب أو فيليب الشجاع يطالبنا ..

(١) المصور ٦ اكتوبر ٦٧ وفي العدد التالي مباشرة قدم المصور نفس مشروع
هذه الدولة مع التنازل عن الممر .. قدمه على انه الاقتراح العجيب الذي
يحل مشكلة فلسطين بدون ألم ... ولم يلتزم حتى بحقوق النشر
فينسبه الى مخترعه .. فيليب الشجاع !

١ - الاعتراف بوجود اسرائيل والتخلي عن أمل تدميرها لأن تدمير مؤسساتها وصناعاتها ومجتمعها الحي يسبب آلاما جديدة هائلة .. فلتدمر مؤسساتنا نحن وصناعاتنا ومجتمعاتنا غير الحية !!

٢ - يدعونا للتخلي عن فكرة عودة اللاجئين لبلادهم المحتلة تحت اسم اسرائيل .. لأن هذا ليس من صالح العرب لأنهم سيتحولون الى أجراء بفعل تفوق اليهود ..

٣ - الحل هو قيام دولة فلسطينية عربية خارج حدود اسرائيل تستوعب اللاجئين ..

ألم تهاجم الصحف العربية ما وصفته بأنه مؤامرة اسرائيلية تهدف الى انشاء دولة فلسطينية عربية تجمع فيها اللاجئين وتنتهي من مشكلتهم التي تسبب بعض الألم للضمير العالمي •
ما الجديد .. وأين الشجاعة ؟

وهل تقبل مجلة المصور هذا الحل .. وأين هي أرضية الحوار ..
الا اذا كنا قد تنازلنا عن كل شيء .. حتى عودة اللاجئين ..
أم هل الجديد في الممر بين غزة والاردن .. يعني اننا نسلم أيضا باحتلال النقب ..

أهذه هي الأرضية الجديدة وهذا هو الحوار .. والبشرى التي نرغبها للعرب وندعو خبراء الاعلام لاستغلالها ؟ ..

ثم الطلبة اليهود المعادون للصهيونية .. أين عداؤهم هذا .. ما هي الصهيونية .. أهي اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .. أم مجرد الارتباط بأحد المعسكرات العالمية .. هل الصهيوني هو من يؤيد الاستعمار أم من يؤمن بقومية يهودية لها الحق في وطن قومي .. وفلسطين أرضنا هي هذا الوطن ؟ .. أليس هذا هو تعريف الصهيونية الى ما قبل الخامس من يونيو وظهور الأصوات العاقلة •

فكيف، يكون المرء مؤمنا « بالحقوق القومية لوطن يهودي في فلسطين »

ويكون عدوا للصهيونية في نفس الوقت ..

لا ..

ان مجرد رفض ارتباط اسرائيل بالغرب لا يخرج المؤمن باستمرار اسرائيل من دائرة الصهيونيين لأن الحزب الشيوعي في اسرائيل صهيوني .. ما دام يؤمن بإمكانية وجود أمة لليهود ، وإمكانية تجميع هؤلاء اليهود في وطن واحد .. وأن يكون هذا الوطن ملكا لشعب آخر .. ويرى أن هذا الفعل الظالم قد اكتسب شرعية تبرر استمراره بمجرد أننا عاجزنا عن مقاومته عشرين عاما .. لا .. فاسرائيل عندما قامت كانت على علاقة طيبة للغاية مع المعسكر الاشتراكي .. ولم يمنع ذلك من ان ندين قيامها ونعمل بكل قوانا على ازالته .. ولو فرضنا ان تيارا رأى اليوم خطورة ارتباط مصير الصهيونية بالغرب وبدولة واحدة فيه .. فدعا لعلاقات أقوى مع المعسكر الاشتراكي فذلك تيار يبحث عن أفضل حماية لأهداف ووجود اسرائيل ويجب الا يغمر بنا فندعو له وتتحاور معه .

لا ..

اليهودي المعادي للصهيونية هو الذي يرفض أساس الحركة الصهيونية .. يعني يرفض فكرة الوطن القومي ، فكرة هجرة اليهودي من المانيا ليستوطن فلسطين ، يدعو اليهود الذين هاجروا الى فلسطين الى العودة لبلادهم .. التي ما زالوا يتكلمون لغتها ، وليعيشوا هناك ويندمجوا في شعوبهم الأصلية .. يدعو لازالة وهم وطن قومي لليهود فظالما ظل هذا الوهم قائما فستجد الصهيونية مادة لنشاطها ، وستجد الحركة المعادية لليهود مبررا لاضطهادهم والاثارة ضدهم في جميع بلاد العالم .. وسيجد اليهود أنفسهم مزدوجي الولاء رغما عنهم ..

فاليهودي الشجاع هو الذي يدعو لازالة اسرائيل لا الذي يدعو التقدميين العرب وقتلاهم تنهشها الذئاب .. الى الاعتراف بالحقوق القومية لوطن يهودي في فلسطين .

وتأييد اليهود لاسرائيل ، لا ينبعث من اضطهاد الآخرين لليهود ..
يهود أمريكا لا يعانون اضطهادا .. وهم أكثر اليهود حماسة لاسرائيل ..
وهم الذين تحدث عنهم « بن غوريون » صادقا فقال : « عندما يتحدث
اليهودي الامريكى الى رفاقه في أمريكا عن حكومته ، فهو يعني عادة ، حكومة
اسرائيل » .

وجولدبرج ، القاضي السابق في المحكمة العليا الامريكية - أعلى سلطة
في أمريكا - وممثل أمريكا في الأمم المتحدة .. هل يخشى الاضطهاد عندما
يحضر اجتماعات المنظمات الصهيونية ..

وناحوم جولدمان الذي يعارض حكومة اسرائيل ، يدعو الى الولاة
المزدوج ، بل والفخر به .. بل والمحكمة العليا الامريكية تصدر حكمها
باعتبار اليهودي الامريكى له الحق في ممارسة الجنسية الاسرائيلية والاحتفاظ
في نفس الوقت بجنسيته الامريكية .. (١)

ولكن عملاء الصهيونية في بلادنا لا يشغل بالهم الا الحوار مع اليهود
التقدميين ..

« وانا بوكر » الزعيمة الشيوعية لم تكن تخشى الاضطهاد في دولة
شيوعية تحكمها ، عندما هربت أباهما وشقيقها الى اسرائيل ..

وقادة الطيران والجيش البولنديون ، بدأ اضطهادهم بسبب تأييدهم
لعدوان اسرائيل ، وليس العكس ، وكذلك يهود بولندا وتشيكوسلوفاكيا
الذين شربوا الأنخاب فرحا بنجاح عدوان ساهمت فيه الولايات المتحدة
الامريكية زعيمة المعسكر الرأسمالي ..

(١) جمال العطيبي : الاهرام ١٠/١٠/١٩٦٧ .

بعد ١٩٤٨ لم تعد المشكلة هي ارتباط اليهودي بإسرائيل ، بل انحصر الخلاف في شكل هذا الارتباط ، ومدى تأثيره على الاهداف اليهودية في السيطرة على العالم ..

فبالخلاف، بين زعماء اليهود هو : هل يستمر اليهودي في البلد الذي يعيش فيه ويكتفي بمساعدة اسرائيل بالمال والسلاح والتجسس واستغلال النفوذ ، والاستمرار في سياسة السيطرة على العالم من خلال السيطرة على المجتمع غير اليهودي .. أم يحمل حقائبه ويأتي الى اسرائيل لقتل العرب وتوسيع رقعة الوطن اليهودي .. باعتبار ان من يسيطر على هذه المنطقة من العالم يسيطر على العالم كله ؟ ..

تقول جولدا ماير « جميل جدا أن يعطينا اليهود في الغرب تأييدهم وحماسهم وأموالهم .. ولكن هذا لا يكفي .. هذه المشاركة من بعيد لا تكفي ، فمن بعيد لا يمكن أن تتم زراعة النقب .. ان ترديد الأغاني عن النقب في نيويورك أو بوسطن لا يعمر النقب » ..

ويقول المؤرخ البريطاني « سيسل روث » ان هؤلاء اليهود الذين عارضوا قيام دولة اسرائيل ، يتمنون الآن نجاحها ولا شك ، بعد ان قامت بالفعل .. ثم انهم يعرفون أن فشلها سيكون ضربة معنوية هائلة لليهود في كل مكان من العالم .. ولكنهم مع ذلك قلقون .. فهم يرون أن اليهود في كل دولة أصبحوا لا يشاركون في أي مسألة تهمة البلاد التي يحملون جنسيتها .. الا اذا كانت هذه المسألة تتصل بإسرائيل » ..

المؤرخ اليهودي لم يستثن .. بل قال اليهود في كل دولة .. فلماذا يكون بعضهم ملكيا أكثر من الملك ؟ ..

بعض حكماء صهيون يتخوفون من تجميع البيض كله في سلة واحدة .. ويعارضون انحاح زعماء اسرائيل وتعجلهم هجرة اليهود .. حتى لا تتحول اسرائيل الى « جيتو » كبير .. ويخشون ردود الفعل من جانب الشعوب ازاء خيانة اليهود للولاء الوطني .

فهو خلاف في الوسيلة لا في الهدف ..

على أية حال ان الذي يحسم موقفنا من اليهودية والصهيونية هو موقفنا نحن من اسرائيل .. هل نسلم بوجودها حتى اذا تخلت عن اطماعها التوسعية .. (وهذا فرض محال) أم نصر على عودة الحق العربي كاملا .. ونعتبر كل من يعترض عودة هذا الحق .. صهيونيا .. جديرا بعداوتنا وحرنا .

وأول خطوة يتخذها الاسرائيلي لاثبات معارضته للصهيونية ولكي يساعد على التمييز بين اليهودية والصهيونية .. هي خلع الجنسية الاسرائيلية والهجرة من اسرائيل والعودة الى الوطن الذي جاء منه لأنه من حقه ومن واجبه ان يعيش بين الشعب وفي الوطن الذي ولد فيه وعاش فيه اباؤه .. ومن واجبه ان يكافح الاضطهاد العنصري والديني في هذا المجتمع .. لا ان يفر منه الى حيث يمارس اضطهادا عنصريا ودينيا ضدنا نحن .. يؤازره صياح المجتمع الذي طرده وحال بينه وبين العيش فيه كمواطن . صياح هذا المجتمع ضدنا نحن واتهامنا بالعنصرية !!

وما دام لا يفعل فمن حقنا ومن واجبنا ان نعتبر كل اسرائيلي صهيونيا ، ومن حقنا ومن واجبنا أن نخوض حرب حياة أو موت ضد كل اسرائيل . ان الذين قبلوا الحوار مع « أصدقائنا » اليهود ، قبلوا الوجود الاسرائيلي .. فأحدهم يعلن بكل جرأة أنه لا يعادي في قليل ولا كثير المليونين ونصف مليون يهودي المقيمين فوق أرضه ..

وفي حديث مع ماكسيم رودنسون بالمصور ، أقترح أن توقف الهجرة الى اسرائيل ، فلا يسمح بذلك الا لليهودي الذي يضطهد في بلده باعتباره يهوديا !!

والغريب ان كل ما علقت به المحررة هو سؤالها « وهل يقبل موسى ديان وأمثاله ذلك .. » أي أنها هي وأمثالها يقبلن ويقبلون .. المجلة تقبل .. والذين أجازوا نشر المقال يقبلون .. واذا كان هذا الذي هو من نسل اليهود وليس يهوديا في نظر نفسه .. والذي تحتفي به

صحافتنا في ظل الاحتلال والعدوان اليهودي .. يقترح ان تكون فلسطين
بلادنا ملجأ لليهودي المضطهد ، فأين نفتش عن يهودي يعارض وجود اسرائيل
.. ولماذا يكون لليهودي وحده حق فتح ملجأ ينتقل اليه عندما يضطهد ..
ولماذا يوجد وطن قومي لليهود وحدهم .. أليس هذا هو جوهر الفكرة
الصهيونية ؟ ..

اسرائيل والاسفمار

قبل ان نحدد موقفنا من اسرائيل ككيان وليس مجرد نظام حكم ..
يجب ان نقف قليلا لنحدد نقطة هامة هي صلة اسرائيل والصهيونية قبلها
بالاستعمار .. وكيف استطاعت الصهيونية أن تجند الاستعمار وراءها
وتصبح هي « قيادة الاستعمار ومستغلة قواه » ..

والشائع ان اليهود ارتبطوا ببريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى
ثم انتقلوا بولائهم الى امريكا خلال الحرب العالمية الثانية ..
ولكن هذا تبسيط شديد للأمر .. والحقيقة ان علاقة اليهودية العالمية
بريطانيا قد بدأت مبكرة جدا .. ويمكن ان نقول انهم كانوا خلف قوة
بريطانيا وخلفه، انتصارها على اسبانيا ، لأن اسبانيا كانت تستأصل اليهود
بمحاكم التفتيش ، وكانت انجلترا تفتح أبوابها أمام اليهود ولو نسيا ..
ثم تزايدت مكانة اليهود في بريطانيا ، وتزايدت عظمة بريطانيا (١) ..

تعنى اليهود :

أي انجلترا

أي أمنا

أي انجلترا .. أي أمنا

(١) ان بحث تاريخ اوروبا خلال القرون الماضية يعلمنا درسا واحدا وهو
ان الأمم التي استضافت اليهود في بلادها ، وأحسنّت معاملتهم وأكرمتهم
بمختلف الوسائل ، قد حل بها اليسر والاقبال ، بعكس الأمم التي عذبت
اليهود وضيقّت عليهم الخناق . فقد كتبت لنفسها اللعنة بيدها
(اوليف شربنر ١٩٠٦) ..

ان لليهود قلبا ويدا

أي انجلترا .. أي أمنا

كليهما اليوم لك ..

لك مدى الحياة ، لك حتى الموت .. نعم الى الأبد ..

فهل تأخذينهما كما أعطيناك إياهما بحرية وسرور

• • •

بالله يا انجلترا أجيبني (١) ..

• • •

« انجلترا جديرة ولا ريب ، بان تحيا ويموت ابناؤها اليهود في

سبيلها » (٢) ..

ولم يقتصر « حب » انجلترا على اليهود الانجليز ، بل أحاطها اليهود من كل جنسية وفي سائر بلاد العالم بتأييدهم وهذا هو ما نسميه « التحرك العالمي » لليهود ، فموقفهم لا يتأثر بالمجتمعات التي يعيشون فيها ، وعلى طول التاريخ لا نذكر صداما حاسما بين يهوديين .. لقد كانت دول أوروبا تتقاتل رغم وجود عائلات مالكة شديدة القرابة .. لتناقض مصالح البلاد التي يسلكها هؤلاء الأقارب .. ولطالما اختلف العربي مع العربي .. والانجليزي مع الامريكي .. ولكن لم يحدث قط ان تقاتل اليهود .. وظلت الأسرة اليهودية تتحرك في اتجاه واحد على نطاق العالم كله ..

« لست وطني الثاني فحسب .. أي انجلترا .. بل انت شقيقتي

(١) اليس لو كاس ١٨٩٩ - مترجمة من اشعار اليهود في القرون الوسطى .

(٢) هرمان أدلر ١٩٠٥ ..

الرحيمة .. وفي ساعات محتتك يشعر قلبي نحوك بجب أخوي « (١) » ..



« عادت انجلترا في عهد الملك ادوارد
فكللت جباهنا بغار الحرية المدنية
لقد ازدان صدر انجلترا العالي
بهالة من النجوم البديعة الرائعة
الا فلتدم عظمتها وليسم مجدها « (٢) » ..



انجلترا هلمي واستيقظي
ان القدس شقيقتك تناديك
لقد شعرت هضابك ووديانك بوقع اقدمها تسير برفق في ربوعها ..
وقد شخصت أبوابك بعطف على طرق صهيون فطرب الزمان
فرحا وجبا (٣) .



ويقول يهودي الماني في عنفوان الحرب بين انجلترا والمانيا سنة ١٩١٧ :
« اليوم الذي شهد قرار بريطانيا العظمى باتخاذ قوة امبراطوريتها
دعامة للقضية اليهودية ، لن يمحي مدى الأجيال من تاريخ العالم « (٤) .

-
- (١) ب . م . راسكين شاعر روسي ١٩١٤ - لذلك عندما تحارب روسيا
انجلترا .. تنتصر انجلترا ..
(٢) اسرائيل زنجويل ١٩٠٢ ..
(٣) وليم بليك ..
(٤) مكسيميليان هارون ..

وهذا التصريح من يهودي الماني خلال الحرب العالمية الأولى هو خيانة صريحة لوطنه المانيا .. ولكن ما من يهودي نظر الى الأمر هذه النظرة .. لا الألماني الذي قالها ، ولا الحاخام الانجليزي الذي جمعها ، ولا الحاخام المصري الذي طبعها ونشرها ! .. لأن اليهودي يؤمن بجسدية واحدة ، هي يهوديته (١) ..

ولسنا نغمر الا بأنفسنا لو تصورنا ان اليهود الانجليز لم يعملوا على نصره بريطانيا في جميع حروبها حتى الحرب العالمية الثانية ، أو أن اليهود في تركيا والمانيا وروسيا ، لم يعملوا على هزيمة تركيا والمانيا وروسيا كلما خاضت حربا ضد انجلترا .. فمصلحتهم كيهود ، وكرأسمالية عالمية - كانت مرتبطة بانتصار بريطانيا .. وعندما نتحدث عن المخطط اليهودي الذي يوجه سياسات بعض الدول ، ويدير الانقلابات والحروب ، تزعم الدعاية الصهيونية ، ان هذا من بقايا النظرة العنصرية ، واساطير فطيرة الفصح المعجونة بدم مسيحي ! ..

والحقيقة ان اليهود كأقلية مضطهدة بصفة دائمة قبل القرن التاسع عشر كانت تلجأ الى حماية نفسها بالسيطرة على مراكز القوة ، بالمال ، أو بالعلاقات الشخصية مع الحاكمين ، أو بهما معا .. واستطاعت خلال قرون عديدة من التصفية أن تكتسب خصائص الوصول الى مراكز القوة ، وفن الاحتفاظ بها ، واستخدامها في خدمة الطائفة اليهودية ، فلما كان القرن التاسع عشر ، وظهرت فكرة الحركة الصهيونية ، ثم تحولت الى تنظيم يهدف

(١) يصرح عملاء الصهيونية في صحافتنا . هذا خطأ .. اليهود ليسوا جنسية واحدة صحيح نحن نعلم ذلك ولكنهم يتصرفون هكذا ، وتجاهلنا لهذه الحقيقة لن يقودنا الا الى الدمار .. وتحت شعار لا تخطوا بين اليهودي والصهيوني .. سمحنا للبعض بالزواج من يهوديات ، وولينا البعض مراكز أكثر من حساسة فأعطوا اسرائيل نصرا فاق احلامهم بجنون « كما قال قادة اسرائيل » ..

هل كنا نستطيع ان نقول افصلوا زوج اليهودية هذا ، الم نكن نتمهم حينئذ بالتعصب ومعاداة السامية والخلط بين اليهودي والصهيوني .. يا عملاء اليهودي الصهيوني .. اجيبوا ..

الى اقامة مستعمرة يهودية في قلب الوطن العربي .. كان من الطبيعي جدا
لحركة لا تملك دولة ، ولا اسطولا يحمل علمها ، ولا جيشا .. كان لا بد لها
ان تلجأ الى المؤامرة .. وان تستغل انتشار افرادها في جميع دول العالم
لكي تصنع مؤامرتها هذه بصيغة عالمية ..
فبريطانيا كانت اداة الصهيونية أو اليهودية العالمية في تحقيق أهداف
هذه اليهودية العالمية ..

ويمكن أن تتعقب المخطط اليهودي في الاستيلاء على فلسطين في ظل
احتلال بريطاني الى بداية القرن التاسع عشر ، كان اليهود خلف انتصار
بريطانيا على فرنسا .. كما كانوا خلف انتصار نابليون على بروسيا ..
وكانوا خلف عداء بالمرستون (١) الشرس لمحمد علي .. وخلف حروبه ضد
محمد علي .. لأنه « الوزير الذي أرسل من قبل الله لارجاع اليهود الى
فلسطين » !!

وبعد أن اخرجت بريطانيا مصر من فلسطين ،زارها في عام ١٨٥٠ اليهودي
موسى مونتفيور (٢) زعيم يهود انجلترا ورئيس جمعية النواب اليهود ..
وكان برفقته الكولونيل جولر الذي دعا بريطانيا لاحتلال فلسطين لأهميتها
بالنسبة للمصالح الامبراطورية ..

ولكن الحلف اليهودي البريطاني ، دخل ضدنا ، دورا جديدا بعد
اعلان الحركة الصهيونية .. فلقد اعتمدت الحركة الصهيونية على عاملين :
- تجنيد الامبراطورية البريطانية بامكانياتها العالمية .. « انجلترا العظيمة
التي تمتد بصرها على جميع البحار ، انجلترا الحرة ستفهم أغراض

-
- (١) راجع (د. فؤاد حسنين) المجتمع الاسرائيلي ..
(٢) صاهرت اسرة مونتفيور ، اسرتي مرقص صموئيل وروتشيلد ومن هذه
المصاهرة كان السير هربرت صمويل أول مندوب سام لبريطانيا في
فلسطين والذي تولى وضع اسس اسرائيل الى ١٩٢٥ .. ثم تزعم حزب
الاحرار وتولى وزارة الداخلية في بريطانيا (د. فؤاد حسنين علي) ..

الصهيونية وأمانها بل وستعطف عليها (١) .

العامل الثاني هو استغلال اضطهاد اليهود في شرق أوروبا ، وبالذات في روسيا القيصرية ، لاثارة الرأي العام العالمي ، وتأكيد انفصال اليهود وتخوينهم ومحاربة فكرة الاندماج ، وتجنيد العنصر البشري اللازم لبناء الوطن القومي (٢) .

« موسم الفصح ، حيث نحتفل بذكرى انقاذنا من نير القراعنة ، موسم الفصح حيث تمتلئ نفوسنا سرورا ، وتلهج السنتنا بالشكر ، تلك هي الأيام التي اختارها جيراننا من ابناء الشعوب الأخرى ليذكرونا ان روسيا حريصة على تكرار المأساة . هنالك جعل عيد الفصح موسم رعب لليهود . . اذ ما يكاد احد الأفراد يذيع الأكذوبة الخاصة بذبح الاطفال المسيحيين ، حتى يهيج القرويون في الشوارع لقتل اليهود . اما الذين شهدوا تلك المناظر الرهيبة فلم تعد الابتسامة الى شفاههم مدى حياتهم ، على مر الأزمنة والأيام . . فكم من فتيات ابيضت شعورهن وشابت نواصيهن بين عشية وضحاها ، وكم من أناس اصيبوا بجنون في لحظة واحدة لهول المصاب » (٣) . .

« مذابح اليهود . اكتوبر ١٩٠٥ . . لقد استغرقت يومين ، لكن احدا

(١) تيودور هرتسل ١٩٠٠ .

(٢) يقول مكسيم رودنسون « ان الصهيونية اعتمدت على مواقف الدول المعادية للسامية ورغبتها في التخلص من اليهود . . وعلى هذا الاساس ، حصل هرتسل ١٩٠٣ على موافقة مبدئية من « بليهب » وزير داخلية روسيا القيصرية وبطل حملة الاضطهاد التي نظمت ضد اليهود ، وكان ذلك بمثابة تقليد سياسي يقوم على التقاء أهداف البرنامج الصهيوني مع غايات السياسة الالسامية » (الحرية ٦٧/٨/١٤ عن مجلة الأزمنة الحديثة) .

(٣) ماري انتين ١٩١١ . .

لم يتناول طعاما او يتبادل سلاما أو يملاً الساعة قبل حلول الميل « (١) .
« كان من جراء الاعيب الحكومة البيروقراطية الاستبدادية المجردة من
الرحمة في عهد أسرة رومانوف (٢) مضافة الى ميل عناصر المجتمع المتوحشة
ميلا غريزيا للسلب والنهب .. ان وجد اليهودي الروسي نفسه مثقلا بالاصفاد
تارة ، مطاردا كالوحش المقترس تارة ، فأصبحت الحياة في نظره عبارة عن
حلقات متصلة من الهجوم والآلام والاهانات ليس لتلك الحالة المخزية نظير
في التاريخ . هنالك ستة ملايين من الكائنات البشرية يعانون ، بلا انقطاع ،
تعذبا مدبرا من الدولة هادما لكيانهم ، مثبتا لعزائمهم ، تعذبا يعد جريمة
ضد الانسانية حارت له السياسة الدولية « (٣) ..
« كان في مدينتنا أناس يكفيك النظر الى وجوههم لكي يشتعل شعرك
شيبا في لحظة واحدة .. أولئك هم الذين خدموا في جيش نقولا الأول ،
وعادوا غير معمدين » .



فمن المؤكد ان القيصر قد حاول مواجهة الثورة النامية داخل المجتمع
الروسي بتوجيه سخط الجماهير الى اليهود .. مستغلا استعدادا موروثا
لدى الموجيك الروسي ضد اليهود ..
ومن المؤكد ان أجهزة القيصر حاولت ضرب الحركات الثورية بنسبتها
الى اليهود ..
كل هذا صحيح .. ولكن صحيح أيضا ان اليهود الذين يعانون كل

-
- (١) ادسيب ديموف ١٩٠٦ .
(٢) هذه الاسرة هي الوحيدة التي أفنيت تماما .. فلم يعيش منها صبي ولا
صبية . ربما ببركة اليهود .. او بتأمرهم .. كيفما تشاء! ..
(٣) لوسيان ولف ١٩١٢ .

هذا الاضطهاد من حكومة القيصر كانوا يتطلعون لاسقاطها .. ومن المؤكد أنهم عملوا من أجل هذا السقوط ، وأنهم انضموا في أعداد كبيرة الى الحركات الثورية المعادية لحكومة القيصر الذي يضطهدهم لأنهم يهود . ولأنهم أصبحوا يشكلون نسبة عالية جدا في الحركات المعادية للقيصر .. لقد عمل اليهود على اسقاط الامبراطورية الروسية ، والامبراطورية العثمانية ، لأن السلطان رفض اعطاء فلسطين لليهود مقابل تسديد ديون الدولة العثمانية (١) ، وضرب السمسار الذي قدم العرض « بالشلوت » وعملوا على ان تخرج بريطانيا من الحرب العالمية الأولى أقوى دولة في العالم . والذي يرفض هذا التفسير عليه ان يرفض أيضا وجود حركة صهيونية ونشاط صهيوني وتآمر صهيوني .. عليه ان يتصور ان اسرايل هي ثمرة

(١) كتبنا هذا الكلام ، واشرنا الى المؤامرة الصهيونية على تركيا في كتابنا « القومية والفتوة الفكرية » .. من مجرد استقراء الحوادث .. ولكن الاهرام نشرت لأول مرة وثيقة، لا ندري لماذا تبقى في طي الكتمان طوال هذا الزمن .. الوثيقة تتضمن اندارا وأضحا بتدمير الدولة العثمانية من مؤسس الصهيونية تيودور هيرزل .. الذي قال في رسالة خاصة الى السيد يوسف ضياء الخالد يقول : « لقد قلت لمسيو « زادوك كاهن » ان من الخير لليهود ان يتجهوا بابصارهم الى جهة أخرى . قد يحدث ذلك في اليوم الذي ندرك فيه ان تركيا تأتي ان تدرك الميزات الضخمة التي تعرضها عليها حركتنا (الصهيونية) . لقد أوضحنا هدفنا علنا ، وبكل اخلاص وولاء . وارسلت الى صاحب الجلالة السلطان مقترحات عامة ، ويسرني ان اعتقد ان صفاء ذهنه الشديد سيجعله يقبل الفكرة ، من حيث المبدأ ، على ان تبعث تفاصيلها فيما بعد . واذا رفض الفكرة فاننا سنبحث ، وصدقتي اذا قلت لك اننا سنجد ما نحن في حاجة اليه .. ولكن سيكون معنى ذلك ان الفرصة الاخيرة التي تتاح امام تركيا لكي تنظم أوضاعها المالية ، وتسترد قوتها الاقتصادية ، ستزول الى الابد .. ان الذي يقول لك هذا الكلام اليوم هو صديق مخلص لتركيا .. وعليك ان تتذكره « التوقيع .. دكتور تيودور هيرزل .. اهرام ١٩٦٧/١١/٤ ..

ونفذت الصهيونية تهديدها كاملا .. رفض السلطان العرض ، واتجه اليهود الى بريطانيا ووجدوا ما هم في حاجة اليه .. واشعلوا ثورة الماسونيين وهدموا الدولة العثمانية ، ودفعوها الى الحرب الى الجانب الخاسر ثم استولوا على فلسطين ..

جهود جماعة من المهاجرين الهاريين من الاضطهاد ، جاءوا وحدهم وبكفاحهم وحدهم .. بل وربما بصراعهم ضد الاستعمار البريطاني أقاموا اسرائيل ! .. ان بريطانيا لم تكن سيدة البحار فحسب ، بل الدولة الكبرى الوحيدة التي كان بوسعها احتضان مطالب الصهيونية ، والدولة التي تدفعها حركة الاستعمار لاحتلال فلسطين والدولة التي يتمتع اليهود فيها بأفضل مركز وأقوى سيطرة ..

وهكذا بدأ الاعداد للحرب العالمية الأولى ، بهذه النتائج المحتومة .. انتصار الحلفاء .. هزيمة روسيا ، حتى ولو انها ضمن دول الحلفاء .. هزيمة تركيا وتمزيقها وتسليم فلسطين لبريطانيا .. هزيمة المانيا ، فرغم نفوذ اليهود في المانيا الذي مكنتهم من هزيمتها وخيانتها .. الا أن القيصر الذي حمل لقب « حامي الاسلام » ما كان بوسعها أن يحتضن مطالب الصهيونيين بنفس القوة التي يمكن لبريطانيا ان تفعل ..

وكان واضحا ان احتمال النصر البريطاني أكبر ، وأن بريطانيا لن تسمح لروسيا بالوصول الى البحر الأبيض ، فرنسا لم تكن تطمع في أكثر من الساحل السوري ..

وقام الحلف المشؤم ..

« ان ولاءنا للعلم الذي وقفت له الشمس يوما ، من شأنه ، أن يقوى اخلاصنا العميق للعلم الذي لا تغيب عنه الشمس » (١) .
وهكذا عمل كل يهود العالم على ان تنتهي الحرب الى نهايتها التي تمت بها ..

(١) جولد سمر ضابط بالجيش البريطاني . ولاحظ الولاء للعلم الاسرائيلي (الذي وقفت له الشمس) ولكن الاخلاص للعلم البريطاني (الذي لا تغيب عنه الشمس) فالاخلاص يمكن ان يكون لراية اجنبية . ولكن الولاء لا يكون الا للراية القومية .. وهذا الكلام لضابط بالجيش البريطاني .. ثم يحدثوننا عن يهودي وصهيوني !! وتاريخ هذه الكلمات هو ١٩٠٢ اي قبل وعد بلفور ب ١٥ سنة !

هزمت المانيا وكان من عوامل هزيمتها خيانة اليهود الالمان .. واذا كان لهم عذرهم في الحرب العالمية الثانية .. فلم يكن لهم أي عذر في الحرب العالمية الأولى في خيانة الوطن الذي يحملون جنسيته ، ولكن بالمنطق اليهودي .. لا ولاء الا للراية التي وقفت الشمس لها يوما ..

وسقطت « الروسية المقدسة » .. وتولى الحكم اعداء القيصر بنسبة هائلة من اليهود ، حتى قيل انه كان من بين أهداف اعلان وعد بلفور كسب ود الحكومة الجديدة في روسيا ، وضمان استمرارها في الحرب الى جانب الحلفاء .. كذلك كان وعد بلفور هو ثمن تأييد الولايات المتحدة الامريكية حيث كان اليهود قد مارسوا اسلوب السيطرة ..

يقول الدكتور فؤاد حسنين علي « وكان الحكم في امريكا قد آل الى الحزب الديمقراطي نصير اليهود وحاميهم ، فسافر بلفور الى امريكا في ١٩١٧ ليدرس الأمور عن كثب ، واقترح اخيرا بأن نفوذ اليهود في البيت الأبيض عظيم جدا .. فأرسلت بريطانيا يهوديا انجليزيا هو السير روفرس اسحاق (الذي أصبح بعد ذلك اللورد ريدينج نائب الملك في الهند ، ثم وزير خارجية بريطانيا عام ١٩٣١) .. أرسلته الى امريكا ليتفاوض مع اليهودي الامريكي (!) لويز بونديز أعز أصدقاء الرئيس ولسن .. ووضعت الصيغة الأولى لوعد بلفور بواسطة اليهوديين ! وبقيّة القصة معروفة ..

قال ويزمان : « كان الحل عندنا هو ان نتتدب بريطانيا على فلسطين ، لتتولى الاشراف علينا عشرة او عشرين سنة ، حتى اذا تقوينا ، ذهبت بريطانيا وبقينا نحن ، فنحن الذين أعطينا فلسطين لبريطانيا مؤقتا » .
وأول مندوب سامي بريطاني في فلسطين هو السير هربرت صمويل – ومعروف انه يهودي – ذلك الذي تولى تنفيذ وعد بلفور ، ولكن أكثر من ذلك انه أحد مؤسسي شركة شل ، أكبر احتكار يهودي للبتروول .. ومعروف ان تشرشل قال في الحرب العالمية الأولى « لقد سبحنا الى النصر على بحر

من البترول» وقال : « ان كل قطرة بترول كانت تساوي قطرة دم » ..
وكان البترول البريطاني ، أو الدم البريطاني ، يأتي من مصدر واحد هو شركة
شل .. اليهودية لحما ودما .. والتي استطاعت ان تفرض ابن العائلة أول
مندوب سام في الوطن القومي .. ثم وزيرا لداخلية بريطانية العظمى ..
ثم يستكثرون علينا أن نتحدث عن سيطرة اليهود على العالم ! ..
ثم انتقلت قيادة القوة الصناعية والاستعمارية الى الولايات المتحدة ..
حيث أصبح اليهود يتمتعون بأقوى مركز ، حيث تخضع الدولة لأكبر سيطرة
يهودية .. فانتقل الحلف الى الولايات المتحدة الامريكية وتراجعت بريطانيا
الى الظل ..

ولما اكتشف ستالين ان الأطباء اليهود الذين يعالجونه يدسون له سنا
بطيئا .. والقى القبض عليهم وكان من المنتظر وقوع مذبحة ضد اليهود ..
اصيب ستالين بمرض غير معروف ، ووجدت جثته سوداء مفعمة .. وقبل
أن تدفن جثته كان بيريا وزير داخلية والمكتشف « للمؤامرة » اليهودية قد
اعدم رميا بالرصاص بلا محاكمة وبلا تفاصيل معروفة حتى الآن ..
وما زال ستالين يكفر عن جريمته هذه حتى الآن .. نبش قبره ،
واخرجت جثته ، واحرقت .. ويلعن كل صباح ومساء ..
اما حكاية الصلة بين اسرائيل وامريكا .. بين الصهيونية وامريكا ..
فان هذه النقطة تدخل ضمن مخطط الصلح مع اسرائيل الذي يجري العمل
والترويج له الآن (١) .

وهذه النقطة بالنسبة لنا لا تحتاج لنقاش طويل .. فنحن نعادي أمريكا ،
سواء سيطرت عليها الصهيونية أم لم تسيطر .. لأن امريكا هي زعيمة الغرب

(١) تحت عنوان « امريكا وليست اسرائيل » قالت مجلة « الطليعة » بالرغم
من ان اسرائيل هي التي ظهرت في ميدان القتال بالشرق الاوسط ، فان
المصلحة الرئيسية في الحرب ضد العرب هي للولايات المتحدة ، وما
اسرائيل الا قاعدة ، شأنها في ذلك شأن باقي القواعد العسكرية .
ما تأثير ذلك على جنودنا المواجهين لاسرائيل ؟ ..

الصليبي في حربه الأبدية ضدنا .. ولأن امريكا تستغل ثرواتنا وتقرض علينا الفقر والتخلف .. ولأننا نؤمن - كما قلنا في أكثر من موضع - بالعداء الأبدى بين الشرق والغرب .. بين المسلمين والحضارة الغربية .. نؤمن ان العرب هم قلب العالم الاسلامي وحراسه .. فصدامهم مع امريكا محتوم .. لأن العالم لا يسمح بقيام حضارتين ، الحضارة الغربية التي تقوم تاريخيا على استغلال آسيا وافريقيا .. والحضارة العربية الاسلامية التي تعني تحرير آسيا وافريقيا .. فصدامنا مع امريكا لا تحكسه الاجابة على سؤال البيضة قبل الدجاجة أم العكس .. بل قد يرى البعض أن اسرائيل باعتبارها العدو المباشر الواضح أمام الجماهير العربية .. هي التي تتمتع بكرهية الجماهير العربية المباشرة .. وبالتالي فان تأكيد سيطرة الصهيونية على أمريكا ، وابرار الدور الذي تلعبه امريكا في مساندة العدو الواضح .. هو السبيل لدفع الجماهير الى مقاتلة امريكا ..

ولا أريد هنا أن أعيد وأكرر كل ما كتب عن سيطرة اليهود على الحياة في امريكا وتحطيمهم لكل صوت معارض .. لا أريد فقد سئنا والله مجادلة من يحملون اسماء عربية (١) حول اليهود ..

غير ان اللاحاح السمج حول عمالة اسرائيل لأمریکا .. انما يهدف الى اثاره العطف على اليهود فهم مغرر بهم (٢) ، مسخرون لخدمة الأهداف الأمريكية في الشرق الأوسط .. وهذا يخلق جسرا للتفاهم والفهم مع جماهير اسرائيل على الأقل .. فاليونان مثلا تعمل الآن لحساب الاستعمار الامريكى .. ولكن ذلك لا يعني أننا في عداة مع شعب اليونان بل نحن معه في كفاحه

(١) ليس جميعهم يحملون اسماء عربية ..
(٢) كتب ذلك صراحة في روز اليوسف ، فتحدث صلاح حافظ عن اليهودي البائس الذي يفررون به باسم أرض الميعاد ، وهو في الحقيقة يخدم مصالح المليونير الامريكى ..

وقال « فيليب » في آخر ساعة .. حتى ولو لم يكن في امريكا يهودي واحد لما اختلفت سياستها في الشرق الاوسط .. وقال : ان الشريك اليهودي يعمل لحساب الشريك الامريكى وليس العكس .

ضد السيطرة الامريكية .. معناه أنه لو زالت سيطرة امريكا على اسرائيل
فتح باب اللقاء بين الشعبين .. ونعود للحلقة من جديد ، ف نجد أنفسنا أمام
واجباتنا في « تحرير » اسرائيل من نفوذ أمريكا .. وسرعان ما يتطوعون
بالاجابة .. كفوا عن تهديد اسرائيل .. كفوا عن تطويقها وعزلتها ، وعندئذ
ستكف اسرائيل عن التطلع الى حماية الغرب (١) .

والغريب ان هذا المنطق لم يعرفوه في الحديث عن باكستان وتركيا
وايران .. فكانوا يصابون بالفالج كلما تحدثنا عن أخوة الشعب العربي مع
شعوب هذه الدول .. بالرغم من مواقف حكامها في بعض الأزمات .. أما
في الصهيونية فهم لا يكفون عن نصحننا بالترفة بين الشعب الالمانى والنازية
.. بين الشعب الاسرائيلي .. وموشى ديان ..

(١) وكنموذج لما اشرت اليه في مقدمة هذا الحديث ، فقد كنت هنا احاول
ان ادلل من تركيزهم على أمريكا انهم يريدون السلام مع اسرائيل ولكنهم
في اندفاعهم المريب يسبقوني كما قلت ، فقد كتبت « روز اليوسف »
صراحة تقول : « ان خطر اسرائيل يكمن في انها قاعدة امبريالية عدوانية ،
ولا يكمن في ان سكانها من اليهود » .. « وما يحرك الغرب هو ادراكهم
لخطر النفوذ الامبريالي في اسرائيل ، وما يهدد الأمة العربية من
الاستثمارات الامريكية هناك » .

فنحن نحارب لتحرير اسرائيل من النفوذ الامريكي ! .. وما يقلقنا
هو الاستثمارات الامريكية لا الهجرة اليهودية !

ازالة اسرائيل

وهنا نتقل للنقطة التي يثيرها اصدقاؤنا من اليهود ونسل اليهود ..
وازواج اليهوديات .. وهي : تحرير المستغلين في اسرائيل من قبضة الفئة
الحاكمة » ..

انهم ينصحون بازالة التهديدات التي تمكن هذه الفئة من تعبئة المجتمع
الاسرائيلي وبذلك يفتح الباب أمام الصراع الداخلي ، وتنمو امكانية العيش
المشترك بين العرب واليهود ..

وقد أوضحنا لماذا نرفض أن نعامل اسرائيل كدولة أو مجتمع أو أمة
تتكون من شعب وحكومة .. لأنها كلها كيان ظالم قام فوق أرضي أنا ..
فحتى تندثر كل الأجيال التي تعرف هذه الحقيقة ، وحتى ترتوي الأرض بدم
أو مذلة كل من شاهد هذه الحقيقة وتركها تقع .. لا يمكن أن نتصور
المعايشة مع شعب اسرائيل ..

اما الأصدقاء اليهود ، فنقول لهم ان التهديدات لو زالت ، أي لو
اعترفنا باسرائيل ، أو اصطلحنا معها ، أو أنهينا حالة الحرب ، فلن تزول
سيطرة الصهيونية ، بل بالعكس ستزداد .. فعقب كل نصر عسكري أحرزته
اسرائيل زادت حركة الهجرة اليها ، وزاد التفاف اليهود حولها .. لأنها كأبي
استعمار ينشد الاستقرار وزوال التهديد لوجوده ، لا لكي يكف عن تحقيق
أهدافه .. بل بالعكس ليبدأ تحقيق هذه الأهداف . فالمعارضة في استمرار
اسرائيل ستزيد كلما زاد التهديد لوجودها ، كلما ازدادت فداحة الثمن
الذي يجب أن يدفع لكي يستمر هذا الوجود .. فالاستعمار الفرنسي ظل مائة

عام بلا تهديد في الجزائر فلم تنشب أية حركة يسارية جديدة تطالب باستقلال الجزائر وتعارض الاستعمار الفرنسي ، بل عندما نشبت الثورة الجزائرية مع تفوق الشك على اليقين باتصارها عارضها الشيوعيون الفرنسيون ، واتهموها بأشنع التهم ، بل وتابعهم الشيوعيون الجزائريون .. فلما تفاقم تهديد الثورة الجزائرية للوجود الاستعماري الفرنسي .. انضم للمعارضة ضد الاستعمار الفرنسي .. سارتر .. بل ورئيس الجمهورية الفرنسية .. شارل ديغول .. وتاريخ الاستعمار البريطاني يؤكد نفس الحقيقة .. فالمعارضة للسياسة الاستعمارية لا تظهر وتشتد الا عندما تتفاقم التهديدات من الحركة الوطنية ، ويصبح ثمن الاستمرار في السياسة الاستعمارية أكبر مما يحققه هذا الاستمرار .

وهل تظنون حقا ان هدف الصهيونية هو اقامة ملجأ يقي اليهودية من الاضطهاد ، فلو سلمنا بذلك لا تنفى مبرر وجودها وفترت الهمم في تأييدها ؟ .. خرافة ...

ان هدف الصهيونية ، وكل القوى الاستعمارية التي تؤيدها من اقامة اسرائيل هو اقامة مركز استغلالي يدير الوطن العربي وأفريقيا من خلفه لحساب المالية الصهيونية والاستعمار العالمي .

ولو أتحننا لاسرائيل فرصة أمن في ظروفنا الحاضرة لاتقل المخطط الصهيوني الى الخطوة التالية ، وهي السيطرة على العالم العربي .. من خلال السيطرة على اقتصادياته .. وأفكاره .. وسياسته .. ولم تكن لبريطانيا في الهند قوة عسكرية أكبر مما لاسرائيل في الوطن العربي .. ولم تكن بريطانيا تحتل كل الهند ، بل ولا تحكم مباشرة كل ولاياتها .. وكانت الهند أكبر منا أربع مرات .. وحكمها جيش احتلال لا يزيد عن عشرة آلاف جندي ومجموعة من الموظفين البريطانيين ، من خلال تخريب الوعي الهندي ، وتدمير الحس القومي ، واخضاع الاقتصاد الهندي للمصالح البريطانية .. فهل نسعى الى هذا المصير ؟ ..

ان الصهيونية تعتقد أنها بدأت هذه المرحلة بالفعل ، مرحلة الدولة اليهودية المستقرة ، التي تفرض الصلح على العرب ، وتفرض حق الانتشار اليهودي في الوطن العربي •• أي حق السيطرة عليه من المحيط للخليج •• هذه المرحلة التي حددها « بن جوريون » بوضوح وجلاء في تخطيطه للتفاهم العربي اليهودي ، عندما قال في تقريره السري الى اللجنة المركزية لحزب « الماباي » في ٢٤/١٠/١٩٣٨ ، أي منذ ٢٩ عاما بالضبط !

قال بن جوريون :

« تكلمت عن خطرين ، وهناك خطر ثالث ممكن وقوعه ، وهو محاولة إخضاعنا لتفاهم يهودي - عربي • ان التفاهم اليهودي العربي هو في الحقيقة حل مثالي ، ومرغوب فيه جدا • وفي كل المدة التي قضيتها عضوا في اللجنة التنفيذية الصهيونية ، حاولت أن أصل الى مثل هذا التفاهم ، ونظرت الى كل الطرق والوسائل لتحقيقه ، في وقت الازدهار ، عندما كانت الهجرة واسعة وعظيمة ، وقوتنا في البلاد تسير الى الأمام بخطوات سريعة •• وفي وقت الاضطرابات جربت أن أتفاوض مع زعماء العرب ، وقتشت عن طريق للوصول الى اتفاق مشترك • ولكن في الوقت الحاضر ، وبعد عشرين شهرا من التقتيل والاضطرابات ، وفي الوقت الذي سقط فيه من الضحايا مئات وآلاف من العرب ، ومنيت مزارعنا بالخسائر الفادحة ، وتحطمت اقتصاديات العرب في البلاد الى درجة تكاد تكون كلية ، وفي الوقت الذي نمت فيه كراهية العرب - في هذا الوقت ، وبعد كل هذا - من الصعب علي أن أتصور أن العرب يقبلون الشروط التي توافقنا •

في هذه الأحوال الحاضرة ، أرى أن التفاهم غير ممكن الا بعد خلق الدولة اليهودية •• عندما يدرك العرب أننا أصبحنا قوة ، وأنهم - أي العرب - لا يتمكنون من الاستهانة بوجودنا وقوتنا ونشاطنا ، وأن عندنا شيئا نقترحه عليهم • وعندئذ فقط يمكن وضع الأسس لخلق تفاهم يهودي عربي ••

وهذا سبب من الأسباب التي تجعلني أدعو الى خلق دولة يهودية في قسم من هذه البلاد ، لأنني لا أرى في هذه الدولة الهدف النهائي للصهيونية ، ولكن الوساطة لتحقيق الصهيونية . فعندما تكون لنا دولة ، نكون قادرين على التفاوض مع العرب حول انشاء اتحاد عربي يضم فلسطين ، في الشروط التي تضمن لنا الحرية في التوطن في كل أجزاء البلاد .. أما دولتنا فيكون لنا فيها حكم ذاتي في كل الاتجاهات الهامة لنا » .



صحيح أننا لا نستطيع الآن أن ننفذ شعار ازالة اسرائيل .. ولكن ، لا تسمتوا بنا ، فهو عارنا جميعا ، ومأساتنا جميعا .. ومع ذلك ، فيجب ألا يدفعنا ضعفنا المؤقت الى التخلي عن ايماننا ، وليكن رفضنا التعامل مع اسرائيل هو سلاحنا الذي نسد به السبيل على تفوقها المحلي من أن يتغلغل في داخلنا ويصبح تفوقا دائما ..

ومتى كانت أهداف الأمم تحددتها مواقف الأصدقاء أو رفضهم ؟
بالعكس .. ان الأصدقاء يتحددون بموقفهم من أهدافنا وليس العكس .. فنحن نصادق من يؤيد أهدافنا ..

كذلك لا يتحدد الهدف القومي بالذات بالقدرة الآنية على تحقيقه .. لا ، فلو فكرنا على هذا النحو ، لما قاومنا الاحتلال البريطاني ، ولا قامت ثورة الجزائر ..

بل .. لماذا لا تتعلم من خصمنا؟!

منذ أيام أذاع « بن جوربون » حديثا ، أشاد فيه بالرواد الذين حملوا فكرة اسرائيل ، فقال ان أحد هؤلاء كتب الى أخيه المؤرخ اليهودي الروسي « شمعون دوفنوف » :

« انني لم أحضر الى فلسطين لأبني حياتي شخصا ، فان هذا بعيد كل

البعد عن هدفي ، والا كان علي العفاء ، وان هدفي - وهدف الكثير من اليهود - بعيد وعزيز ، ولكن ليس متعذر التحقيق .. وهذا الهدف هو السيطرة - على مر الزمن - على أرض فلسطين ، واعادتها للشعب اليهودي ، وأن نعيد اليه الاستقلال السياسي الذي سلب منه منذ ألفي سنة .. لا تضحك ، ان هذا ليس هديانا ..

« ان الوسائل لتحقيق هذا الهدف بالطرق الآتية :

- تأسيس المستعمرات الزراعية ، والمستوطنات الصناعية .
- اثناء المصانع والصناعات من أنواع مختلفة ، والتوسع فيها بصفة دائمة .. وبعبارة أخرى : وضع جميع الأراضي والاقتصاد في أيد يهودية . ويجب تدريب الشباب والجيل القادم على ذلك ، ويجب أن نسيطر بالسلاح ..

« انني هنا غارق في الأحلام ، ولكن سيأتي هذا اليوم الرائع ، الذي تنبأ فيه « أشاعياهو » في نبوءاته .. وعندئذ يعلن اليهود ، وسلاحهم في يدهم ، بصوت عال - أنهم سادة وطنهم العتيق .. سواء أتى هذا اليوم بعد خمسين سنة أو أكثر .. »

ويعلق « بن جوريون » قائلا :

« كتب هذا الخطاب في أول نوفمبر سنة ١٨٨٢ .. وقد وصف هذا الخطاب بايجاز ودقة الخطة التي أدت الى تحقيق قيام الدولة بعد ٦٦ سنة » .
يا ترى ، هل كان أعداء الصهيونية يقبلون هذه الأحلام أو الخرافات وقتها ؟ بل اننا نزعم أنه حتى غالبية اليهود ، ما كانت تصدق امكان تحقيقها .. ولكن ، هل فت ذلك في عضد المتآمرين ؟ هل دب اليأس في نفوسهم كما دب في نفوس البعض عندنا لمجرد مرور عشرين عاما .. ولمجرد هزيمة عسكرية ، أو حتى ثلاث هزائم ..

وما عشرون عاما في عمر الأمة الاسلامية ؟ وما هزيمة عسكرية في أمة تعدادها مائة مليون عربي ؟ ..

ان هزيمة عسكرية واحدة نزلها باسرائيل تعني زوالها ، أما نحن فقد
احتلنا الصليبيون قرابة قرنين ، وفنى الصليبيون وبقينا ..

فلماذا اليأس .. ولماذا التخلي عن المبادئ والأهداف ؟!

يهمسون .. انهم يقصدون حقا ازالة اسرائيل .. هذه قضية لا جدال

فيها .. ولكن يجب ان نكسب الرأي العام العالمي ..

والرأي العام العالمي كان دائما ابدًا حجة المتخاذل .. أي رأي عام علمي ؟

الذي لم يستطع ان يوقف ضرب فيتنام من سبع سنوات ؟

هل ثمة رأي عام عالمي مقتنع بأنه من حق الولايات المتحدة الامريكية

ان تدافع عن نفسها ضد خطر الشيوعية .. في آسيا ؟ .. وان من حق الولايات

المتحدة أن تجرب كافة الأسلحة ضد شعب فيتنام ، وان تدمر كل ما بناه

الشعب الفيتنامي ؟

أي رأي عام الذي لم يستطع أن يجمع في فرنسا مليار فرنك لفيتنام في

أربع سنوات ، وجمع مليار فرنك لاسرائيل ، لتقتل بها العرب في أقل من

أربعة أيام ؟! ..

هل سنملك يوما جهازا دعائيا أكبر من الجهاز الشيوعي ، بدوله

واحزابه وتشكيلاته السرية والعلنية ، وحلقات العاضفين حوله .. هذا الجهاز

لم يستطع ان يؤثر في الرأي العام العالمي ، على نحو يشل عدوان المعتدين ..

فهل نستطيع نحن .. بمجرد مضغ كلمات عن عداة السامية ، وصهيوني

ويهودي ؟!

الرأي العام العالمي الذي لم تثره ولم تحركه مذابح العرب في ١٩٤٨

و ١٩٦٧ .. وجن جنونه لأننا منعنا ٥٪ من تجارة اسرائيل من المرور في

خليج العقبة ؟

الرأي العام الذي دعت اسرائيل مثليه الى « رحلة سياحية » يشاهدون

فيها احراق معامل تكرير البترول والسماد المصرية في السويس . فذهب

ممثلو الصحافة العالمية في اسرائيل الى السويس في « أربع عربات اوتوبيس

سياحية « وشاهدوا وعادوا يكتبون : « لقد اصبحت السويس مدينة مية » (١) .

« الحريق العملاق الذي أخذ يلتهم خلال يومين ، اثنين من أكبر معامل البترول في مصر ويحيل ما يقرب من مليار فرنك الى سحب كثيفة سوداء وألسنة لهب طويلة .. هذا الحريق أعطى لمصر منظر الازلال الذي لا يحتمل » (٢) .

« يقول رجل الشارع في اسرائيل : علينا أن نضربهم ، ونضربهم في الموضع الذي يدميهم .. وقد وجهت المدفعية الاسرائيلية في تبادلها اطلاق النيران عبر قناة السويس طلقاتها الى المكان الذي يدمي حقيقة : الا وهو معامل التكرير الهائلة ومخازن الوقود في السويس » (٣) .

« بعد الصواريخ .. فليات العرب الآن صاغرين » (٤) .
أي رأى عام ؟ الغربي الصليبي الذي يمقتنا ويكره اليهود ويتمنى لو نذبح له اليهود ، والذي يحتقرنا ويغضنا الآن أكثر من أي وقت ، لأننا لم نهزم اليهود ..
والذي يتمنى أيضا أن يدمر اليهود كل أمل في محاولة بعث اسلامي للعرب ؟

ان المواطن الفرد العادي في الغرب ، هو ثمرة تكوين نسجته حروب خسيصة خلال أربعة قرون من استعمار وحشي ، لم تعرفه البشرية من قبل .. من دماء الشعوب الضعيفة ، ومن ثرواتها وفوق أرضها قامت حضارة الغرب ، ورفاهية الغرب ، وعلوم الغرب .. بل وانسانية الغرب ..
ككيف ترزع مثل هذا الانسان جرائم اسرائيل .. أليست اسرائيل تكرر ما فعله هو في أفريقيا وآسيا .. وأمريكا ؟ ..

(١) صنداى تايمز .

(٢) الاكسبريس الفرنسية ١٠/٣٠/١٩٦٧ .

(٣) صنداى تايمز ١٠/٢٩ .

(٤) الجارديان البريطانية ١٠/٣٠ مقتبسة من اقوال الراى العام في اسرائيل .

ولماذا نخشى اثاره الرأى العام العالمي ، عندما نتحدث عن الحق المشروع لشعب عكا في العودة الى بلده عكا ، ولا نخشى اسرائيل من اعلان أهدافها التوسعية بكل وضوح ووقاحة ، فيدعو اشكول المهاجرين الجدد لاستعمار اسرائيل الكبرى ، اي من سيناء الى سوريا ؟ ..

لماذا لم يخف « بن جوريون » من الرأى العام العالمي عندما قال : « أما السيف الذي أعدناه لغمده ، فإنه لم يعد الا مؤقتا . اننا سنستله حين تتهدد حريتنا في وطننا ، وحينما تتهدد رؤيا أنبياء التوراة .. فالشعب اليهودي بأسره سيعود الى الاستيطان في أرض الآباء والأجداد ، الممتدة من الفرات حتى النيل » (١) .

لا ترتعدوا من الرأى العام .. كونوا أقوياء فسيحترمكم .. افرضوا ارادتكم .. وانتصروا فسيسمع لكم .. ألم يقل بن جوريون في ١٩٣٨ : « ليخط الآخرون أية خطوة يريدونها ، وليفعل الأجانب ما يريدون ، ولكن اذا عرفنا كيف، نصنع التاريخ في هذه الظروف غير المرضية فلن يغلبنا أحد » . ولا يعني حديثي هذا اننا نهمل الدعاية ، أو ان نستمر في الاسلوب الاعلامي المضحك المبكي الذي نجري عليه حاليا .. ولكن القضية الرئيسية في ظني .. اننا يجب ان تكون لنا سياسة واضحة ، لكي يكون لنا اعلام مقنع .. يجب أن يتضح في مفهومنا أولا ماذا نريد ؟ وكيف ننوي أن نصل اليه .. ثم تأتي مهمة الدعاية له .. قد نقول كل ما نريد أو لا نقول كل ما ننوي .. المهم ان نعرف أولا .. وأن نتفق أولا .. وان ننوي أولا .. وأن نثق أولا وقبل كل شيء .. ان قوتنا الذاتية هي وحدها الحاسمة ، وهي التي تقول الكلمة الأخيرة .

(١) خطاب بن جوريون ٧ يونيه (حزيران ١٩٤٩)

هرب دينية

بقيت قضية الدين ..

والحرب الدينية ..

الطابع الديني للصدام العربي الاسرائيلي ..
فالذين يفتحون الحوار مع اسرائيل ، يتهموننا بالتخلف والرجعية لأننا
نزوج بالدين في المعركة .. ويحذروننا من « الأرضيات الدينية » ويربأون
أو يربأون بالدين أن يزج في هذه المعركة ..
ماذا تعني الحرب الدينية؟ .. هل نحن نشن حربا على اليهود بهدف
ازالة الدين اليهودي ؟

قد كنا اقدر على ذلك في قرون عديدة سلفت .. بل اننا نزعم ..
وليحاسبنا من يشاء .. ان الدين اليهودي ما بقى .. ولا بقى اليهود ..
الا بفضل تسامحنا وبحمية سيوفنا وسواعدنا ..
ولكن عندما يسعى اليهود لهدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبناء
هيكلهم فوق أنقاضه .. ماذا نسمي ذلك؟ .. ان لم يكن عدوانا دينيا؟ ..

عندما يقول بن جوريون من عشرين عاما ويظل يكرر « لا معنى لاسرائيل
من غير القدس ، ولا معنى للقدس من غير الهيكل .. » ماذا يعني ذلك ؟
هل نصبح رجعيين ان دعونا الجماهير العربية لمقاومة هذا العدوان باسم
الاسلام واستصرخانهم للذود عن مقدسات الاسلام؟ ..
هل كانت الجماهير العربية المسلمة .. متخلفة ورجعية عندما عرضت

حياتها لبطش المحتلين ، متظاهرة ضد دخول حاخام المسجد الأقصى ليصلي صلاة اليهود !! ••

هل نرفض مناصرة جماهير باكستان •• لأنها تؤيدنا باسم الاسلام؟! ••
هل نستطيع ان ننكر الطابع الديني للعدوان الصهيوني رغم كل الحقائق التي نلمسها ،
حركة قاصرة على ابناء دين واحد •• وتستند الى نصوص هذا الدين ••
وقادتها يكون امام حائط ورئيس جمهوريتها يدس ورقة تحمل امنياته في شقوق هذا الحائط ••

وجماهير تتظاهر ضد الذين يعملون في يوم السبت •
وشعبها يغير اسماءه الى اسماء عبرانية ••

وينادون وهم يقتحمون المسجد الأقصى « يا لثارات خبير » !
كل هذا ليس كافيا لابرار الطابع الديني للحركة الصهيونية والعدوان الاسرائيلي •• لقد اتاب عملاء الغزو الفكري الذعر من البعث الاسلامي الذي هفت اليه قلوب الجماهير مع النكسة ، بعدما افتضحت عملية التخريب التي شنت خلال السنوات الماضية ضد الاسلام ، وبعدها انهارت كل الحركات والمبادئ المعادية للاسلام ، وتبين انها كانت العامل الأول في صنع الهزيمة ، وتبين أنه بغير عقيدة ، بغير ايمان ، لا يمكن خلق رفض حقيقي فعال للعدوان الاسرائيلي ••

ان الذين اهتموا خلال السنوات الماضية بتدمير القيم الدينية وعزل الدين عن الحياة العامة ، واستئصال كل وجود له من السياسة والتربية والحياة الفكرية للعرب •• كانوا يمهدون الطريق للنكبة ويجردون الأمة العربية من أقوى سلاح تتسلح به الشعوب عندما تواجه شريعة الغاب ، ويرتهن وجودها بالدم والحديد والنار ••

لقد أدخلوا الأمة العربية ، المعركة ، بلا عقيدة ، وبمجموعة من الأفكار المشوشة الفاسدة المتقمة من مزابل الحضارة الغربية ، محاولين اطعام النمو

العربي بها بعد غليها في « قدر » الماركسية الصدى ..

واجهوا مجتمعا أقيم لآبادتهم ، واجهوه بروح مسالمة وادعة مجتمعا متعصبا دينيا ، واجهوه باستبعاد الدين .. والا فقولوا لنا كم عدد الآيات القرآنية التي يستشهد بها المتكلمون في الدول العربية المتحررة ؟ أو متى ورد ذكر الجنة (١) في أي كتاب « عقائدي » من كتبهم .. لماذا يموت الجندي ما دامت الجنة قد حذفت من قاموس توعيته ؟ .. أمن أجل الاشتراكية ؟ .. وهل يموت قبل ان يعرف أهى اشتراكية عربية أم تطبيق عربي للاشتراكية ؟ .. والغريب ، بل المريب ، انهم يعرفون أهمية الدين .. ففي عرض لكتاب صهوني ، يؤكد العارض حتمية زوال اسرائيل لأن شبابها غير متدينين ! « ان سكان المدن الصهيونية لا يهتمون الا بمشاهدة أردأ الأفلام الامريكية ، أما الاذاعة الصهيونية فانها صورة طبق الأصل من البرامج الامريكية .. موسيقى خفيفة مع اعلانات ودعايات .. فالاذاعة ليست دعامة ثقافية ولا فكرية ، والشبان والشابات لا يقومون اطلاقا بواجباتهم الدينية (١) اذن لا يوجد في المجتمع الاسرائيلي : « تقاليد ثقافية محلية » وبخلاف ذلك فان الثقافة الامريكية السطحية هي المسيطرة وهكذا نشأت بروليتاريا مدنية مثقفة قليلا ، منقطعة عن جذورها الثقافية (٢) ..

وربما تكون هذه التيارات موجودة بالفعل في اسرائيل ، فان تمرد الشباب على الكهنوت الديني ، ظاهرة حتمية وطبيعية .. وهذه هي معجزة الاسلام ، الذي ألغى الكهنوت وجعل ضمير الانسان هو صلته الوحيدة بربه ، قضى على التناقض بين الأجيال ، وألغى حتمية التمرد الديني لدى الأجيال الجديدة ..

-
- (١) قبيل النكسة كانت الموضة هي الاستشهاد بالتوراة ووضعها على مكاتبهم وقول الشعر على نسقها .. فانتصر اصحاب الكتاب الذي حاز اعجابهم ! .
(٢) خليل احمد خليل - مجلة دراسات عربية الصادرة عن دار الطليعة
يونيه ١٩٦٧ ص ٥١ .

غير انه يرد على هذه النقطة ملاحظتان :

— الأولى ان القوى المسيطرة على المجتمع الاسرائيلي تعي أهمية العقيدة الدينية ، وتوجه المجتمع بها لخدمة أهدافها ، والمقال نفسه يعترف بذلك :
« فالزواج المدني غير معترف به رسميا في اسرائيل (١) الا أن العمال أذكيا فهم يعرفون حقيقة الدين الصهيوني . . يقولون : « الدين عندنا سياسة » (٢) « ان الدين اليهودي يمنع الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود . مثلا يهودي متزوج في قبرص امرأة غير يهودية ، يستطيع ان يتزوج يهودية في اسرائيل ، لأن رجال الدين لا يعتبرون الزواج الأول ، وحتى أن الدولة تلاحقه وهو مقيم مع زوجته الشرعية التي تزوجها خارج اسرائيل بتهمة الدعارة » .

ويتساءل الكاتب التقدمي جدا « وماذا يعني ان تدعى دولة اشتراكية مزعومة ، ويسيطر عليها قانون الاكليروس الذي يرفضه ٧٦٪ من المواطنين . .
سوى ان الدين وسيلة سياسية وآلة من آلات الدعاية الصهيونية » .
ألا تعرفون من الاشتراكية الا انها تتعارض مع الدين ؟ . .
يقول المعلق : « ان رجال الدين في اسرائيل يفرضون واجباتهم التقليدية على المواطنين والزائرين الأجانب . . أما يوم السبت فهو من أجل أيام المهازل في اسرائيل . . السبت يعني توقف كل نشاط ، ابتداء من مساء الجمعة . . ان الحجارة تمطر هذا اليوم ، السيارات المتنقلة وتسقط الحجارة الدينية على المارة والسيارات . . ويقوم بذلك « حراس المدينة » . .

« اسرائيل لها وزير للشئون الدينية ، لعل مهمته ان يهنيء الذين يعتدون ، يوم السبت ، على المارة المتجولين والسيارات ، شيء مخجل يقول اليهود الملحدون : وزير يشجع انتهاك حرمة القانون » « ورجال الدين يملكون

-
- (١) قبيل العار باسابيع كان شغلهم الشاغل هو الغاء نظام الزواج الاسلامي . .
او معركة قانون الأحوال الشخصية . .
(٢) وهو هكذا في العالم كله . . وايضا اللادينية سياسة معادية لمصلحة الامة العربية . .

مسالغ لذبح المواشي وتوزيع لحومها ، وحينما انشئت مسالغ ماريست
عارضها هؤلاء بقولهم : انها منافية للدين »

ما يعنينا هو موقف قيادة المجتمع من الدين .. وواضح من أقوال
المؤلف اليهودي وعارض الكتاب « التقدمي » ان قيادة المجتمع الاسرائيلي
تؤيد الدين وتناصر رجال الدين وتحمي فرضهم للسلوك الديني على
المجتمع (١) •

– والملاحظة الثانية : هي ان كون الدين يشترك في تكوين الدافع
الروحي لوجود المجتمع ، قضية منفصلة ، عن التدين – خاصة في غير الدين
الاسلامي – حيث ينحصر التدين تقريبا في ممارسة طقوس معينة ، وفي أماكن
خاصة ، وبواسطة رجال مخصوصين .. وحيث يمكن ان تنتظم الحياة
المدنية بعيدا عن هذه الطقوس ، وبغير هؤلاء الرجال .. ومع ذلك تبقى
حقيقة العصبية الدينية في هذه المجتمعات ..

وبمناسبة الحديث عن اليهود الملاحدة يقول صحفي فرنسي (٢) معلقا
على استيلاء اليهود على حائط المبكي : « دخل زمان شازار رئيس الجمهورية ،
المدينة المفتوحة ، ووقف أمام المبكي ، ولأول مرة منذ عشرين قرنا ،
يقف رئيس دولة عبرية مستقلة أمام معبد سليمان الكبير . وهذه هي عودة
شعب داود الى الأماكن العتيقة .. بل ان الاسرائيليين الملحدون ذاتهم قد
تأثروا ايضا بهذه الرموز الدينية ، وهم لن ينتزعوا من القدس دون ان
تدمى قلوبهم » •

وما لم تدم قلوبنا على المسجد الأقصى : أولى القبلتين الذي باركه
الله وشرفه بأسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ما لم تدم قلوبنا على
مصلى عمر أمير المؤمنين فلن نخرج اليهود من القدس ..

إذا قست قلوبنا فلم تدم على ديننا ومساجدنا الأسيرة ، وكرامتنا

(١) لم تنكب حكومة اسرائيل يهودي مارق يدعوها لنبد الدين حرصا على
شعور الاقليات ..

(٢) جان نويل جورجان ..

الجريحة ، وتاريخنا وأرض أجدادنا .. اذا ظلت الفشاوة على أعيننا وقتنا ان
الهدف من كل الذي جرى ، كان اسقاط الحكم التقدمي في دمشق .. وما دام
لم يتحقق هذا الهدف . فالعرب بخير .. اذا ظللنا نردد هذا الهراء فابشروا
بهول أفضع وعار أكبر (١) .

(١) من الحوادث الجديرة بالتأمل وانوقوف طويلا ، انه قبيل النكسة ، قيل
احتلال اليهود ما بين القنطرة والقنيطرة .. نشر مقال به سب في الله
سبحانه وتعالى بصحيفة القوات المسلحة السورية ..
كتب كاتب المقال مقاله ، ودفعه الى المشرف على التحرير فأجاز
هذا نشره ثم دفع به الى سكرتير التحرير ، فحرر عناوينه ، وحدد بنط
جمعه ، وأبرز ما شاء من فقراته ، بحروف سوداء وأخرى تحتها خطوط
.. ثم دفع به الى المطبعة فصف العمال بها حروفه ، وطبعت عليه تجارب
أو بروفات ارسلت للمصحح والرقيب الدائم على الصحف في سوريا
بل والرقيب العسكري ايضا باعتبارها مجلة القوات المسلحة وأجاز كل
كل هؤلاء سب الله .. استغفره واتوب اليه .. ثم دارت المطابع تطبع
المجلة وانتقلت للمجلدين فالوزعين .. وخرجت الى السوق وتخاطفها
القراء حتى ثار لها بعض الشيوخ على منابر المساجد ، فكانت الاضرابات
واغلاق الحوانيت .. فنزول الجيش والقبض على محركي « الفتنة »
ومصادرة المجلة ..

وفسر وزير مسئول « اللعبة » بانها مؤامرة دبرت لبيل بين
المخابرات الامريكية عن طريق جاسوسها كاتب المقال الذي يعمل بالمجلة ،
وبين الاردن الذي استعد جيشه للزحف .. وبين الشيوخ المسلمين في
سوريا .. فما أن تنشر المقالة حتى يتلقفها الشيوخ فيهيجون العامة
وتتدخل المصفحات الاردنية لتحطيم النظام التقدمي الذي اتعب الامريكان
ودوخهم ..
صدقنا ..

بل اكثر من هذا نحن نشك في وجود عملاء للمخابرات الامريكية اعلى
بكثير من رتبة كاتب المقال .. والله اعلم كم من ايللي كوهين لم يعترف
بعد ..
ولكن ..

نحن نسأل سؤالا واحدا .. اكان يمكن ان يمر مقال به طعن ..
ولو ارق من النسيم .. في ذات الحكم التقدمي ؟ .. لماذا استبيح عرض
الدين .. وسهل سب الذات العلية .. فلا ينتبه احد ولا يفضب غاضب
.. حتى يتنادى المسلمون من فوق منابر المساجد .
لان الدين .. والدين الاسلامي بالذات ، أصبح متهما مضطهدا في
ظل حكم الحزبية الملحدة المريية .

والحرب الدينية قضية ذات شقين :

● أولاً .. هي حرب مفروضة علينا ، فالعدو - كما رأينا - يقيم وجوده كله في عقل الفرد اليهودي على أساس ديني ، وينسب الأرض والدولة الى نصوص ونبوءات دينية .. ويشن ضدنا عدوانا يستهدف - ضمن ما يستهدفه - ازالة وجودنا الديني .. ومن ثم ، فان رفضنا « الأرضية الدينية » للصراع لا يفيدنا ، بل يفيد العدو ، لأنه يغطي أهدافه العدوانية ، ولأنه يحرمنا من مساندة قطاعات واسعة تثيرها الحمية الدينية . ● الشق الثاني ، وهو الأهم في اعتقادي ، هو الدافع .. العقيدة التي تحرك جنودنا ..

لقد هزمنا في هذه الحرب لأننا قاتلنا بلا عقيدة .. لأننا - خلال التبعية والانهار - بعدنا عن روح الاسلام ، وفقدنا روح العقيدة .. ثم تكالبت علينا الحركات العميلة والدخيلة في السنوات الأخيرة ، فجردتنا حتى من شكليات الدين .. أصبحت كلمة « عقيدة » و « عقائدي » تعني غير المتدين .. تعني الملتزم بنظرية سياسية ، أو مذهب اقتصادي ، أو حتى المنتسب لتنظيم بعينه .. بينما أصبح المتدين ، أو المؤمن بالاسلام ، متهما بالرجعية ، مشكوكا في ميله للأحلاف ! ..

جردنا من العقيدة ، فحقت علينا الهزيمة ..

وعندما أفاق الجماهير على الهزيمة المروعة ، والتجأت الى الدين ، وكان هتافها وتصفيقها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٦٧ ، عندما ذكرت القيم الدينية - يؤكد حقيقتين :

● أن فطرة الجماهير سليمة ، لم تفسدها جهود الاستعمار الصليبية ، ولا المؤامرات الصهيونية ، التي ركزت على تخريب الايمان الديني .

● أن الجماهير تؤمن بأن الدين هو المخرج من النكسة ..
وعندما وضحت هذه الحقائق ، هب الذين أفرغتهم هذه الرؤيا ، وأرعبهم اعلان الجماهير سقوط كل الشعارات والأفكار والحركات التي انفصلت عن الدين ، وتولت توجيه الجماهير خلال السنوات الماضية ..

هبوا يحاولون الاستمرار في دورهم .. دور تضليل الجماهير ،
باختراع أسباب للنكسة ، واقتراح الحلول للخروج منها .. وآخر ما
اكتشفوه هو ضرورة أن تصبح مجتمعا عصريا ، وأن اختلاف المستوى
التعليمي هو سبب الهزيمة !

وأول ما يتبادر للذهن أنهم - بوضع القضية على هذا النحو - انما
يحولون الهزيمة الى قانون طبيعي ، ما من سبيل الى تفاديه .. وأن هذا
القانون سيظل يعمل لفترة طويلة من الزمن ، حتى تصبح مجتمعا متعلنا
متحضرا عصريا .. والقضاء على الأمية - مجرد محو الأمية - في الوطن
العربي ، يحتاج لعشرين عاما على الأقل .. فما بالك ببناء مجتمع عصري
في مستوى أوروبا وأمريكا !

بالطبع ، ان هذا - فضلا عن ذلك - يستر جريمة الذين صنعوا
النكسة .. اذ ما مسئولية قائد الطيران - مثلا - عن تفشي الأمية بين
الفلاحين المصريين ؟ وما مسئولية قائد الجبهة السورية عن المجتمع غير
العصري في ريف سوريا ؟

كانت الهزيمة - وفقا لهذا التفسير - قدرا محتوما ، والذنب على
التخلف !

وهذا التفسير - أيضا - يفتح الباب للراغبين في انتهاء حالة الحرب ..
يفتح الباب للراغبين في التربع على السلطة باسم الاستعداد للحرب ضد
اسرائيل ، ثم لا يحاربون أبدا .. لأن الحرب يجب ألا تقع ، والنصر لا أمل
فيه قبل أن تتحول الى مجتمع متعلم عصري .. قبل أن يسوق الدبابة
مهندس كما هو الحال في اسرائيل ..

ولكن هذا التفسير أيضا - وهو الأخطر - يحاول أن يضل الجماهير
عن القضية الرئيسية .. قضية العقيدة .. الدين ..

فليس ثمة خلاف على ضرورة الآلات ، ولا أظن أن مجتمعا من المجتمعات
لا يعرف أهمية أن تكون لديه طائرات ودبابات من أحدث طراز ، حتى ولو
لم يبذل أي جهد في امتلاكها .. ولا أظن أن الجنس البشري بحاجة الى

من يعلمه فضل التكنولوجيا وأهمية المخترعات الحديثة .. وليس في بلادنا من يجادل في فضل السيارة على الحمار ، أو المصباح الكهربائي على « لمبة الجاز » .. ولو كان لثوار فيتنام من سبيل الى قبلة ذرية - لدفعوا ملايين من أرواح شعبهم لامتلاكها ..

لماذا هذا الجدل السخيف ؟ وأين هو الكشف العبقري الذي اكتشفوه ؟ وهل كنا بحاجة الى مثل هزيمة ٥ يونيه لنكتشف أهمية العلم ؟ ولما ضيق الخناق على أصحاب هذا التفسير ، قالوا انهم يقصدون مجتمعا سلوكه عصري ..

يعني ماذا ؟ ..

ألم يتولوا خلال السنين الغابرة مهمة تعليمنا العصرية ؟ وهل عرفوا من العصرية الا منع الطلاق ، وتحديد النسل ، وانشاء الفرق الراقصة ، والهوس دفاعا عن الاختلاط في المدارس !؟

لماذا لم تعلمونا السلوك العصري .. وما الذي حال بينكم وبين العصرية .. ولماذا لم ينتبهوا الى أن المجتمع « العصري » في اسرائيل - والذي اكتشفوه فجأة - يحرم الزواج المدني ، وتلقى الجماهير فيه الأحجار على من يعمل يوم السبت (١) .. لأن صناع المؤامرة الصهيونية

(١) نقلت الاسوشيتدبرس من لندن النبا الذي نشر في صحفنا (قبل النكسة) بهذا العنوان :

العقيدة اليهودية

في جنازة تشرشل !

ووضعت الصحيفة العربية علامة تعجب ودهشة من تخلف زعماء

اسرائيل ..

والخبر يقول : « اضطر شازار رئيس جمهورية اسرائيل (٧٦ سنة) ، وبن جوريون (٧٨ سنة) الى السير مشيا على الاقدام مسافة ميل ونصف ميل ، وذلك اثناء تشييع جنازة تشرشل أمس الاول ، حيث وافق اليوم الذي تحرم فيه الديانة اليهودية على اليهود استخدام وسائل النقل » ..

تعجب الصحيفة .. وتنسى انه ما من امة تبقى اذا ما امتهنت مقدساتها !

قد عرفوا من سنوات أن « شعب اسرائيل لم يحافظ على السبت فحسب ، بل ان السبت هو الذي حافظ على شعب اسرائيل » .
وما دمت قد اخترتم أن تتعلموا من اسرائيل ، فأحسنوا الاختيار ..
ما الذي اكتشفه بن جوريون بعد أحداث الخامس من يونيه ..؟ اسمعوا
وتعلموا يا شديدي العصرية والتمدن ..

يقول بن جوريون : « لقد كان نصيب شعبنا دائما أن يقف كأقلية أمام الأكثرية ، ولذلك ذكر أنبيأؤنا (١) منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ..
أنكم أقل الشعوب جميعا ، ولذلك يجب على شعب اسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق من الناحية الروحية ، بحيث يستطيع أن يقف بعظمته المادية أمام شعوب أكبر منه ، وبدون التفوق الروحي لم يكن شعبنا يستطيع أن يبقى ألفي سنة ، وما بقيت منه بقية ، بعد الشتات بين شعوب تكرهه لأنه يختلف عنها ، وما استطاع احياء وطنه بعد ١٨١٣ سنة من هزيمته ، في ظروف تختلف عن ظروف احياء واستقلال أية دولة في القرنين التاسع عشر والعشرين »
هل يعني ذلك أن بن جوريون درويش مجذوب ؟ وهل صحيح أن اسرائيل بعد الحرب لم تستورد طائرات ومدافع ودبابات .. هل أوقفت اسرائيل التعليم والدراسة ، وعكفت على تلاوة التوراة عند حائط المبكي
تنشد التابوت الذي ضاع ! ..

لا .. بن جوريون سفاح قاتل ، يعرف جيدا أهمية المدافع والصواريخ

(١) لا يخجل بن جوريون من الاستشهاد بكلام الأنبياء .. ولو ذكر أحد المتزعمين عندنا حديثا أو آية صدفة - فانه يذكرها كالمستشرقين ، أي ما معناه .. وصحيح أن الانفصال عن الدين عندنا يرجع الى التشويه الفكري الذي تم خلال الجيل الماضي ، وصور الدين كقوة رجعية ، وايضا للتخريب المقصود الذي منع تدريس الدين ، مما جعل عددا كبيرا من الذين سقطت السلطة في أيديهم لا يعرفون شيئا عن الاسلام ، ويظنون انه دروشة المجاذيب عند الحسين .. كما يضاف الى ذلك عقدة الاقليات التي خلقها الاستعمار ، وجعلت السلطة الوطنية تتحاشى ذكر الدين .. وكذلك رغبة بعض العناصر الانقلابية في الاعتماد على الاقليات ضد الاغلبية .

•• وضرورة ضرب مدرجات الطيران قبل ضرب الطائرات •• ولكنه أيضا •• بل وأولا •• يعرف كيف تأتي المدافع والصواريخ •• وكيف تنطلق •• وبماذا تنتصر؟! بالقيم الروحية وحدها ••

بالايمان يدفع اليهودي •• ويخترع •• ويسرق الاختراعات •• ويتحسس •• ويموت •• وبالايمان يقاتل ••

ونحن أجدد الأمم أن نعي هذه الحقيقة •• فعندما خرج الحفاة العراة رعاة الشاء يرثون ملك كسرى ، ويطاردون قيصر حتى يقف حزينا يطل على سوريا وهو يقول : « وداعا يا سوريا •• وداعا لا لقاء بعده •• » ثم يفر قيصر وفي قلبه حسرة لا تزول ، وفي نفسه دهشة لا تنقضي •• كيف انتصر هؤلاء •• الأكثر تخلفا في الآلات على الأكثر تمدنا وتحضرا •• بالمقاييس المادية ••

لم يكن العرب يمتلكون أقوى الآلات ولا أحدثها •• بالعكس •• عندما أسروا الفيل في حربهم مع الفرس ، وجاءوا به الى المدينة ، وخرج الناس يشاهدون هذه العجيبة •• قالوا : هذا من صنع الفرس ، وظنوه حيلة أو خدعة أو اختراعا اخترعه الفرس ، وليس من مخلوقات الله سبحانه وتعالى (١) •

وكانت روما سيدة البحار بلا منازع ، وكان البحر الأبيض بحيرة رومانية بما تعنيه هذه الكلمة •• وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب قاهر روما ، لم ير البحر ، ولا ركب سفينة قط ! ويطلب من أحد البلغاء ممن شاهد البحر أن يصفه له ، فيصفه بعبارات بليغة تفزع عمر رضى الله عنه ، فيشفق منه على رعيته ، ويقسم ألا يحمل المسلمين عليه أبدا ••

وما تكاد تمضي سنوات حتى يكون للمسلمين الأسطول الأقوى ،

(١) حكاها الطبري . . مع أنه لم يكن قد انقضى ثلاثة أرباع القرن على غزو الفيلة للجزيرة العربية ، وارتدادهم مخدولين عن مكة ، بعد أن أرسل الله عليهم « طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل . فجعلهم كعصف مأكول » .

وحتى يسحقوا أسطول سيدة البحار في موقعة ذات الصواري ..
بل وتقوم الدولة الاسلامية مترامية الأطراف ، وتتعامل بالنقد الروماني
فترة من الوقت ، وهي قاهرة بيزنطة ..
ماذا كان يملك العرب ؟

لا شيء سوى العقيدة ، فانهارت أمامهم الممالك ، وتساقطت الدول ،
وتسلم كل سلاح ، لأنهم كانوا المتفوقين في « القدرات الروحية » .
وبالعقيدة تعلموا وصنعوا ، ثم اخترعوا وأثروا التاريخ البشري ..
نقطة البدء اذن في كل حضارة ، هي العقيدة .. هي القيم الموجهة
للجماهير .. هي الأفكار التي توجه سلوك قيادتها ..

فالذين تسمموا بالغزو الفكري يظنون أنه مما يتنافى مع التقدم الآلي
أن يتمسك المرء بدينه ، أو أن يستشهد بقرآنه .. ناسين أن الباب المفضى
الى مبنى المخبرات الامريكية منقوش عليه آية من الانجيل (١) وأن أول
دبابة اسرائيلية دخلت سيناء كانت تحمل نصا من التوراة ..
اسرائيل - للأسف ! - تعي دروس الفتح الاسلامي أكثر مما نعيه
نحن ، وتستفيد منه أكثر مما نستفيد .

ليس الخلاف على الآلات أبدا .. بل على الروح التي تمكنا من امتلاك
هذه الآلات .. الروح التي تمكنا من ادارة هذه الآلات ، وصنع النصر بها ..
ماذا قال بن جوريون في ١٩٤٩ ؟

« فكل ما يجيء به العلم الحديث لا يكفي وحده ، ولن تكون الكلمة
الأخيرة للدبابة ولا للمدفع أو الطائرة المقاتلة لكسب الحرب .. انما تكون
للانسان الذي يسخر هذه الوسائل لارادته ، فيسخرها كيفما شاء وأينما
أراد . ولن يتفوق المحارب اليهودي على خصمه العربي لمئاته عضلاته ، أو
تفوقه الفني ، فهذه الخصائص - على أهميتها الفارقة - ليست شيئا مذكورا
.. فقوى المحارب اليهودي العقلية والنفسية ، وفهمه وادراكه ، ومضاء
(١) الحكومة الخفية .

عزيمته ، ومثابرتة و إخلاصه ، وثباته أمام المصاعب والأخطار ، وسعة حيلته ،
وغيرها من الخصائص هي التي تلزم له للتفوق في معارك الحرب » •
« سنفوز على العرب بفضل تفوقنا في القوة والخلق والعقل • ان جيشنا
– الذي شئت الظروف الماضية أن يكون جيشا صغيرا – سيكون في
المستقبل في طليعة الجيوش الممتازة ، سواء من الناحية التقليدية الروحية ،
أو الصناعية الفنية » •

اليهود الذين عبدوا عجل الذهب ، عندما أرادوا أن يقاتلوا وبنوا
دولة – عرفوا القيم الروحية ••

اليهود الذين لا تاريخ حقيقي لهم •• جعلوا من توراتهم التاريخ الذي
يتعصبون له ، ويستصرخونه وقت الشدائد ، وبنون له مستقبلا •
اليهود الذين اندثرت لغتهم ، أعادوا بعثها ، وفرضوها على العالم ،
ونالوا بها جائزة نوبل !

بل ويجبرون « الرأى العام العالمي » المزعوم على أن يهتم بتشنجاتهم
الدينية •• فتقول الجارديان البريطانية (١) « ان الأمر أصبحت له قداسته
الدينية ، ففي عطلة الأسبوع أعلن الحاكم الأكبر أن أورشليم وأراضي
اسرائيل هي أماكن مقدسة بالنسبة لينا • لقد وعدنا الله بالأرض ، وكل ما
تتنبأ لنا به الأنبياء يحدث لنا •• وعلى ذلك فإنه محرم على أي يهودي أن
يفكر في إعادة أي جزء كان من أرض أسلافنا » •

ان الصليبي الغربي يؤمن بالدافع الديني ، بل بعكس ما يحاول أن
يدخل في روع أتباعه من أبناء المستعمرات ، هو دائما يضع التفسير الديني
للأحداث في المحل الأول •• وهو لم ير في أحداث مايو ويونيه الا حربا بين
المسلمين واليهود ، وباعتبار تاريخه ودينه ومصالحه انحاز الى جانب اليهود
ضد المسلمين •• وعمت الفرحة قلب كل صليبي غربي والقدس تنتزع من
المسلمين ، محققة ثارات صليبية بدأت منذ عدة قرون ••

(١) ٣٠ أكتوبر ١٩٦٧ .

فنحن لا نكسب الرأى العام العالمي عندما نخفي ديننا ، ولكننا نخسر
احترامه ، ونخسر أنفسنا •

ان الغرب طوال سنوات استعماراه واحتلاله لبلادنا قد حاول أن يرهب
الحركة الوطنية بتهمة التعصب ، فكلما تحركت القوى الوطنية صرخ في
وجهها بأنها متعصبة ، تكره الاستعمار لأسباب دينية ، وأنها لو كانت متمدينة
متحررة لما ساءها وجوده •

ولقد بددت الحركة الوطنية جانبا هاما من طاقاتها وحيويتها في محاولة
نفي هذه التهمة الباطلة ••

واليوم تكرر اسرائيل نفس اللعبة •• فنحن لا نغضب ولا نشور ضد
اسرائيل الا لأننا متعصبون ••

نعم ! نحن متعصبون •• ولن نقبل أن يذل الاسلام في بلادنا ، وأن
يباد المسلمون في ديارهم ••

وإذا كان الحاخام الأكبر يقول ان أرضنا موعودة له ولبني اسرائيل
بنصوص تلمودهم •• وأن ما وعدهم أنبيأؤهم يتحقق كله •• وتنقل هذا
الصحف البريطانية ، وتجعله بعدا جديدا في المشكلة - فان الله سبحانه وتعالى
قد وعدنا النصر ، وأمرنا بقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ،
وأن نخرجهم من حيث أخرجونا •• وبشرنا الرسول صلوات الله عليه بوقعة
مع اليهود •• حتى يصيح الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي
ورائي •• فيأخذه فيقتله ••

وبعد ..

لا أريد ان أطيل الحديث .. فالحديث مرير .. وقد أشرنا الى كل هذه العوامل في كتبنا منذ صدور الطبعة الأولى من « الغزو الفكري » والاحساس بخطورة الوضع هو الذي جعلنا نهب أنفسنا لهذا الاتجاه .. فان جيلنا قد قارب دوره على الانتهاء .. وهو ان كان فريسة للأهواء الرخيصة التي حاولت ان تتملك الناشئين بابرار أهمية سنهم الصغيرة .. فان جيلنا قد عاش تجربة خصبة وحاسمة وبقي عليه ان يقول كلمته .. ان يلخص تجربته لهؤلاء الناشئين .

واذا كان البعض قد بدأ يتحدث عن الحل السياسي .. فان جيلنا يقول انه بغير نصر عسكري فلن تقوم لهذه الأمة قائمة ولن يغسل العار الذي لحق جيلنا .. وسيعيش ذليلا ويموت كسيرا .

ومهما بدت قسوة الأيام ومرارة المحنة ، فان جيلا مؤمنا بالاسلام ، معتزا بعروبه ، مسلحا بالعلم والحديد والنار .. لا بد ان يظهر ويزيح الدنس من العقل العربي ويحرر الارادة العربية .. ومن أجل هذا الجيل نكتب .. انه الجيل السعيد الذي سماه الرحمن عبادا أولى بأس شديد .. ووعدهم بأن يدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تنبيرا .

فهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٣	خطبة الكتاب
١١	بلا عقيدة
١٨	سارتر
٣٩	يهودي وصهيوني
٥٣	من هو الصهيوني
٧٠	اسرائيل والاستعمار
٨٤	ازالة اسرائيل
٩٣	حرب دينية

صدر للمؤلف

مصريون لا طوائف	١٩٥٠	نفذ
الجبهة الشعبية	١٩٥١	»
قانون الأحزاب	١٩٥٢	»
روسي وأمريكي في اليمن	١٩٥٧	»
شرف المهنة	١٩٦١	يطلب من الدار القومية
الغزو الفكري		
الطبعة الأولى	١٩٦٤	
الطبعة الثانية	١٩٦٦	يطلب من الدار القومية
الماركسية والغزو الفكري		
الطبعة الأولى	١٩٦٤	
الطبعة الثانية	١٩٦٦	يطلب من الدار القومية
دراسة في فكر منحل	١٩٦٧	يطلب من مكتبة الأمل - الكويت
القومية والغزو الفكري	١٩٦٧	يطلب من مكتبة الأمل - الكويت

مطبعة مقهوي — كويت

الشمس ٣٠٠ فلس

طبع في مطبعة مقهوي - الكويت